روايات أحلام

آخر الغرباء

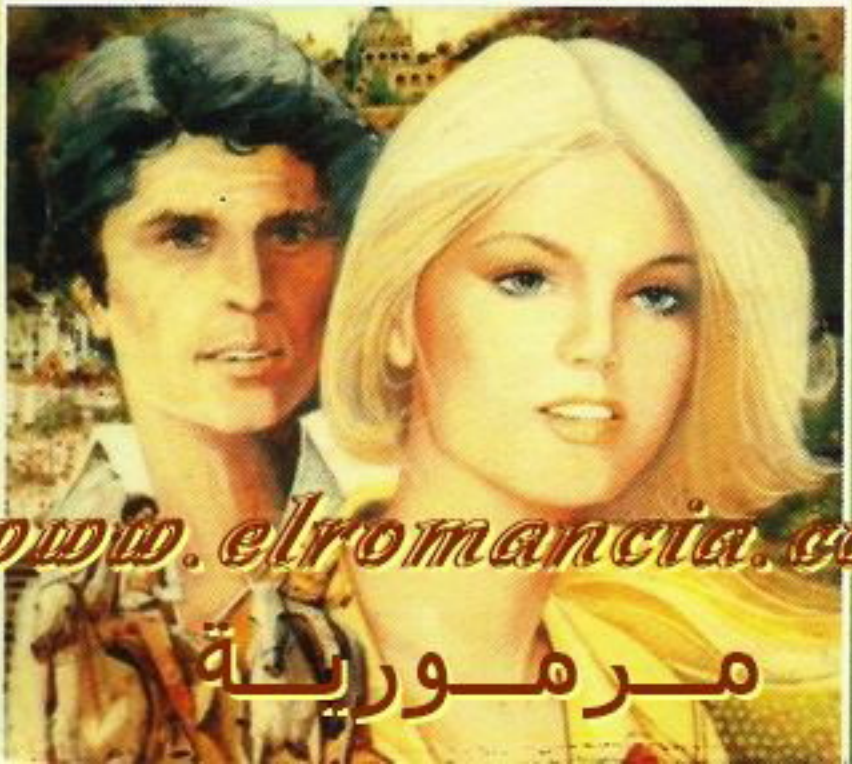

www.elromancia.com

مرمورية

روايات أحلام

آخر الغرباء

كانت مارغ قادرة على الحصول على من تريد من الرجال. شكّل بعضهم تحدياً أكثر من غيره، غير أنهم جميعاً كانوا تحت متناول يدها. المسألة فقط، مسألة لعبة لها. وما إن يصبح الرجل تحت سيطرتها حتى يتلاشى الإعجاب.

ولكنها الآن شحذت أسلحتها من أجل هدف نبيل هو إنقاذ مستقبل صديقتها من براثن كورونواي.

كوّنت مارغ انطباعاً بأنه متوحش مستبد لا يتردد في استخدام قوته الجسدية ليحقق أهدافه، ولكن هل هذا النوع من الرجال منيع أمام إغوائها؟

سارت مارغ في طريق محفوفة بالألغام نحو راعي البقر الغريب وفي ذهنها شعار قديم: «يطارد الرجل المرأة حتى تصطاده..».

www.elromancia.com

لبنان ٢٠٠٠ ل.ل.	الإمارات ٦ د.	مصر ٤ ج.	ليبيا
سوريا ٥٠ ل.س.	قطر ٦٠٠ ر.	المغرب ١٥ د.	اليمن
الأردن ١ د	البحرين ٦٠٠ ف.	تونس ١٠٥ د.	السودان
الكويت ٥٠٠ ف.	السعودية ٧ ر.	عمان ٦٠٠ ب.	العراق

١ ـ نمر في المدينة

خرجت مارغوت بريسكوت من باب الحمام وخصلات شعرها الذهبي تتساقط فوق كتفيها.

ـ غلوريا؟

لامست ابتسامة خفيفة زاويتي شفتيها لدى رؤية رفيقتها في السكن.. كانت غلوريا وارندر جالسة في سرير منفرد، تحدق إلى الفضاء حالمة. أصبحت ابتسامة الفتاة الشقراء شيطانية ثم انتزعت منشفة عن رف الحمام، رمت بها رفيقتها مازحة.

وقفت مارغ وقفة تأهب في باب الحمام ويدها على خصرها النحيل، وعيناها الزرقاوان تضحكان على وجه الفتاة الأخرى المذهول:

ـ غلوريا.. كان عليك أن تكوني مستعدة!

تنهدت غلوريا: «أيجب ذلك؟»

ثم دفعت جسمها الصغير عن السرير وتوجهت نحو النافذة لتبعد الستائر في سبيل إلقاء نظرة على الخارج.

أردفت: «ليت ريف قادم الليلة!»

هزت مارغ رأسها، وعادت لتقف أمام مرآة الحمام ومن هناك قالت: «أتريدين إهمال محاضرة الأدب الإنكليزي؟».

ـ لا، لا أريد.. ولكن..

تسللت نغمة حماس إلى صوتها: «لكنني لا أنفكّ عن التفكير في أنني قد استيقظ لأجد كل ما جرى مجرد حلم..»

لم تبرح نظرة المزاح عيني مارغ التي كانت تستخدم في تلك اللحظة قلم الكحل البني لتحدد حاجبيها الخفيفي اللون بدقة.

ـ غلوريا.. إنه أول طلب للزواج.

شع بريق السعادة في عيني غلوريا:

ـ وسيكون الأخير! آه مارغ.. لقد طلب ريف يدي! يريدني زوجة.

التوى فم مارغ المكتنز بابتسامة:

ـ أعرف يا حبي.. سبق أن أخبرتني ذلك.

ـ أراني مضطرة إلى تكرار ذلك لأصدّق أنه فعلاً طلبني للزواج.. أنا لست جميلة مثلك. لم أصدق نفسي عندما طلب مني الخروج معه في المرة الأولى أو في المرة الثانية والثالثة والرابعة. ومع ذلك لم أحلم قط. بلى حلمت بهذا ولكنني لم أصدق أنه جاد في علاقته بي! لم يقل كلمة عما يشعر به حتى الليلة الأخيرة.

غمزتها مارغ: «ألم أخبرك أنه سيطلب يدك؟»

رمت غلوريا المنشفة التي رمتها عليها مارغ ونظرة أسى تتسلل إلى قسمات وجهها..

ـ هل أصبت عندما أطلقت تلك الكذبة؟ لا أدري لأنني لا أنوي ترك «مونتانا» من أجل وظيفة أو من أجل قضاء عطلة الصيف حتى...

ذكرتها مارغ وهي تنقل قلم الكحل إلى الحاجب الآخر:

ـ لكنه لا يعرف هذا.. كما أنك لم تخبريه بقبولك العمل خارج الولاية.. أليس كذلك؟

ـ لا.. قلت له فقط إن عمك في كاليفورنيا وافق على أن نعمل في منتجعه هذا الصيف.

ـ إذن لم تكن هذه كذبة. لقد راسلني فعلاً عمي فيليب ليخبرني أن لديه عملاً لنا إذا أردنا، وجلّ ما فعلته هو ادعاؤك الغموض بالنسبة لقبول العرض أو رفضه.

هزت كتفيها ثم عادت تركز على صورتها في المرآة.. تنهدت غلوريا واستندت إلى إطار الباب:

ـ أعتقد هذا.. لكن، عندما تقعين في حب شخص ما تجدين أن من غير الصواب أن تقومي بمثل هذه الخدعة لفعل ما تريدين.

مدت يدها إلى خصلة من شعرها البني الأدكن وراحت تلفها حول إصبعها..

قالت مارغ: «ريف يحبك. كان سيطلب يدك في النهاية.. ما فعلته أنت هو تقريب الوقت.. كنت تعلمين أنك واقعة في غرامه ولم يكن أمامك إلا إيجاد طريقة ليعلن عن حبه».

كانت الجملة الأولى هي كل ما سمعته غلوريا:

ـ لا أفهم أبداً لماذا أحبني ريف كونورواي.. كان يجب أن يتزوج فتاة مثلك، جميلة ذكية، لا فتاة خجولة عادية المظهر مثلي.

أمالت مارغ رأسها جانباً فانسدل شعرها العسلي الأشقر الذهبي بحرية أكبر حول كتفيها.. كان شعرها الطويل مقصوصاً بطريقة فاخرة لتحقيق ذلك التصميم المدروس من الفوضى الذي لا تستطيع حمله إلا الجميلات.

ـ قد تكونين يا غلوريا من الخارج فتاة عادية ولكنك من الداخل شخصية جميلة ورائعة. أعتقد أن الأضداد تتجاذب دوماً.. أرى أن لدى ريف كونورواي غريزة قوية إلى الحماية ويبدو أن خجلك

www.elromancia.com

الفطري يحرّك عنده هذه الغريزة . .

كادت تقول أشياء كثيرة ولكنها احتفظت بما نوت قوله لنفسها . . فريف معجب أيضاً بتفوقه من ناحية الذكاء على غلوريا، فهو ليس ممن يحب أن يسيطر عليه أحد . وتعتقد مارغ أن المرأة التي سيتزوجها فراشة عث بنية، لا فراشة زهور جميلة .

هو شاب طموح لا يعترض على أن تشاركه الأضواء زوجة جميلة، ولكنه في قرارة نفسه يريد أن يجد زوجته جالسة بانتظاره في المنزل، بعيداً عن المعجبين المستعدين لتسليتها في حال تأخره في العودة .

كانت ثقة غلوريا بنفسها هشة جداً . . ولقد قالت مارغ الحقيقة عندما ذكرت أن غلوريا شخصية جميلة من الداخل، ولا يمكنها أبداً التسبب بإيلام صديقتها بأن تشير إلى الأسباب القاسية التي جعلت ريف يريدها زوجة له .

عبست غلوريا وهي تشد خصلة الشعر تلويها حول أصبعها .

ـ ليتك لا تتكلمين بهذه الطريقة يا مارغ .

ـ لماذا؟ أليس ما أقوله منطقياً وواقعياً؟ فالرجال أطفال طوال القامة . نعم لكل منهم شخصيته الخاصة، ولكنهم جميعاً من الداخل أطفال صغار وما إن تفهم الأنثى هذا الواقع، وتعاملهم على هذا الأساس حتى تكون الرابحة . . ليس عليك إلا إبداء التقدير لهم متى أجادوا عملاً ما، والامتناع عن تدليلهم متى أخطؤوا .

ـ ما أسهل هذا عندك، فليس هناك من رجل لا تستطيعين الحصول عليه إن أردته .

تسلل حسد بسيط إلى صوتها وهي تتفرس في قسمات مارغ الفاتنة . . قسمات قد تتغير من الإغراء الشديد إلى البراءة المفرطة .

ردت مارغ كأنها تقرر أمراً واقعاً :

ـ هذا صحيح .

توقفت فرشاة الرموش عن الحركة . كان لون عينيها اللازوردي يزداد عمقاً عندما نظرت بغرور إلى انعكاس صورة غلوريا في المرآة . .

أردفت مستدركة : «يبدو هذا غروراً مني . . لم أعن ما قلته حقاً» .

ـ أنت لست مغرورة أبداً، بل واثقة بنفسك . . لو كنت مثلك، لقلت قولك . أنا مسرورة لأنك لا تنظرين إلى ريف .

تركت غلوريا خصلة شعرها الدكناء ثم تلاشى صوتها وذلك أنها توجهت إلى غرفة النوم التي تتشاطرانها . عادت مارغ آلياً لتضع «الماسكارا» على أهدابها . سألت : «سترتدين ثيابك اليومية قبل الذهاب إلى المكتبة، أليس كذلك؟»

هزت غلوريا كتفيها : «كنزة وجينز» .

أعادت مارغ أصبع الماسكارا إلى مكانه، ونظرت إلى صورتها في المرآة . وكم أذهلتها الفتاة الرائعة الجمال التي كانت تحدق إليها . إنه الوجه ذاته الذي طالما رأته . لقد خلقت جميلة . . ومنذ صغرها والصبيان يطوفون حولها .

نعم صحيح ما قالته غلوريا فهي قادرة فعلاً على الحصول على من تريد من الرجال . شكّل بعضهم تحدياً أكثر من غيره، غير أنهم جميعاً تحت متناول يدها . المسألة، فقط، مسألة لعبة لها . ترى نفسها أحياناً حرباء تغير لونها متى شاءت فهي قادرة على أن تحوّل نفسها إلى أية شخصية قد يرغب الرجل الذي يعجبها : مغرية، رياضية، ضعيفة، ذكية . ولم تكن لتشك في قدرتها على أخذ ريف

www.elromancia.com

من غلوريا إذا أرادت.. فبمقدورها أن تظهر نفسها بمظهر المرأة العاجزة الساذجة وهما صفتا غلوريا. مع أن جمالها قد يعيقها مع ريف ولكنها قادرة على تغيير هذا بأن تظهر له ميزات هذا الجمال بالنسبة لمستقبله العملي.. لكنها لن تفعل هذا أبداً، فغلوريا صديقتها الحميمة، وغلوريا تحب ريف.

هل نظرت مارغ قط إلى مطلق رجل بعيني غلوريا المذهولتين حباً؟ معها لم تدم غمامة القلوب الوردية إلى أبعد من الإعجاب الأولي الذي كان يجذبها إلى رجل محدد.. وما إن يصبح في قبضة يدها وتحت سيطرتها حتى يتلاشى الإعجاب..

كان على المشجب وراء باب الحمام، بلوزة بيضاء طويلة الأكمام ارتدتها مارغ ثم زررتها من الأسفل إلى الأعلى. إن وصف الفراشة هو الأقرب إلى نفسها.. فراشة ذهبية تنتقل من زهرة إلى أخرى، دون أن تحط طويلاً في أي مكان.. فهل قدرها أن تكون دورة حياتها على هذا المنوال أم سيأتي يوماً رجل يقلّم لها أجنحتها؟

هذه فكرة خيالية.. فمنذ نعومة أظفارها وهي تعرف غريزياً كيف تلتف حول الرجل.. ولم يكن هناك من امتنع عن تنفيذ مطالبها. وكانت ما إن تجعله يتراقص في خدمتها حتى تفتح جناحيها وتطير مبتعدة.

هزت كتفها لا مبالية. ثم دست بلوزتها تحت سروال أزرق قبل أن تباشر بتمشيط أطراف شعرها والخروج من الحمام إلى غرفة النوم..

دست غلوريا سترة صفراء فوق كنزتها الرمادية القديمة:

ـ جاهزة؟

مظهرها صبياني ينسجم مع تسريحة شعرها القصيرة ووجهها

العادي، لكن المظهر لم يكن ينبىء عن شخصيتها الحقيقية.

لاحظت مارغ كل هذا ولكنها منذ زمن بعيد توقفت عن محاولة إقناع رفيقتها بتغيير نمط ثيابها. ولقد حققت بغيتها بدفع من تحب إلى طلب يدها للزواج، وتعتقد مارغ أن هذا فرق كبير فعلاً.

ـ ومن يستطيع أن يكون جاهزاً للقيام ببحث فصلي؟

أخرجت سترتها الجلدية من الخزانة الصغيرة المماثلة لخزانة غلوريا التي ضحكت وقالت:

ـ انظري إلى الأمر من هذه الوجهة، البحث الفصلي يعني نهاية فصل جديد واقتراب العطلة الصيفية.

حملت مارغ دفترها وحقيبتها، وتوجهت نحو الباب الذي فتحته لها صديقتها، وقالت موافقة وابتسامة عريضة على شفتيها:

ـ إنها فكرة تغبط النفس.

ظهرت فتاة في أسفل الدرج، تقدمت منهما خطوتين ورفعت بصرها ثم وقفت أمام الفتاتين النازلتين على الدرج.

ـ ها أنت مارغ.. كنت صاعدة لأناديك، لك مكالمة هاتفية أظنها من بيل شوغونسي.

انتهى الإعلان بابتسامة تآمرية قبل أن تعود الفتاة أدراجها.. أخفت مارغ تكشيرة، بيل شوغونسي شخص عرفته مؤخراً وهي الآن تحاول الخلاص منه.. ولكنه على ما يبدو غير قادر على فهم التلميحات.

نادت الفتاة المبتعدة: «أخبريه أنني قادمة».

تمتمت غلوريا: «يبدو مصراً».

ـ أعلم! إنما يجب ألا يطول أمره.

أشارت الفتاة إلى غرفة الهاتف الصغيرة فتوجهت إليها مارغ أما

www.elromancia.com

غلوريا فجلست على أريكة قريبة.

قال بيل شوغونسي رداً على تحية مارغ العاجلة:

- مرحباً مارغ.. ماذا تفعلين؟

- أوه.. هذا أنت بيل، كنت في طريقي إلى المكتبة مع غلوريا لإنهاء تسجيل بعض الملاحظات من أجل بحثي الفصليّ. لقد أخّرت هذا حتى اللحظات الأخيرة! يجب أن أقدم البحث يوم الاثنين، وها أنا لم أباشر به حتى الآن.

- أوه..

أبلغ صمته وتردده مارغوت أن قولها أفسد عليه مخططه لنهاية الأسبوع، وتمتم مازحاً:

- يجعل العمل من مارغ فتاة مملة، سنقيم حفلة راقصة يوم السبت، أتذكرين؟

- إن لم تقدم مارغ بحثها رسبت في الامتحان الفصلي.

كان عذراً مقبولاً ولكن مارغ في الواقع لن تبقى طوال العطلة الأسبوعية منكبة على البحث ولا تعتقد أن قضاء أمسية خارج المنزل قد تضرها، ولكنها غير راغبة في الخروج برفقة بيل أضف إلى هذا أن غلوريا قد ذكرت لها أن الثلاثة: غلوريا وريف ومارغ قد يخرجون للعشاء احتفاءً بالخطوبة.

كانت صديقتها حساسة في ما يتعلق بعائلتها التي هي عبارة عن عمتها وزوجها اللذين رباها بعد موت والديها.. لم تأت غلوريا على ذكر الأمر، ولكن مارغ تشعر بأن ما جرى لم يكن حدثاً سعيداً.

قال بيل مصرّاً: «لمَ قد تضرّك أمسية واحدة؟ هيا حلوتي سنمضي وقتاً رائعاً!»

صفق الباب الأمامي بشدة فنظرت مارغ إلى مصدر الضجة ثم

اعترضت على قول قاله بيل ولكنها في ذلك الوقت كانت تحدق بفضول إلى الغريب الذي صفق الباب بمثل هذه الطريقة الفظة.. جالت نظرتها بمظهره، كان يرتدي سترة مزينة بجلد الغنم وجينز يحتضن خصره وورکيه وساقيه المديدتين وينتعل حذاء رعاة البقر المرتفع الساق، وهو متسخ وقديم لكثرة الاستخدام. مع ذلك فيه ما يدل على أنه ليس براعي بقر عادي.

كان بيل يقول شيئاً مرة أخرى، فأشاحت مارغ بصرها عن الغريب لتركز على ما يصدر عن الهاتف ولكن صوت الغريب اخترق زجاج غرفة الهاتف الصغيرة.

- قيل لي إنني أستطيع أن أجد غلوريا وارندر هنا.

كان كلامه موجهاً إلى سالي غولنغز الفتاة التي أعلمت مارغ بالمخابرة، عندئذ عادت عينا مارغ الزرقاوان بسرعة إلى الرجل، تراقب سالي وهي تشير إلى غلوريا الجالسة على الأريكة.. مارغ تعرف كل من تعرفت إليه غلوريا ولو لمدة قصيرة، وهذا الرجل غريب كلياً.

كانت خطوط وجهه القاسية هادئة أما خطواته الواسعة فذكرتها بنمر مأسور في قفص. هذا الرجل بدون شك ليس هادئاً كما توحي ملامح وجهه.. فخط فمه مستقيم متجهم والطريقة التي ضاقت فيها نظراته على صديقتها أعطت مارغ إحساساً بأنه ينظر إلى فريسته.

لم تتظاهر حتى أنها تهتم بالمتكلم على الهاتف.. إذ كان سمعها منصباً على ما يقوله الرجل لصديقتها. وقف كالطود الشامخ ثم تحدث بصوت خفيض، حاد:

- غلوريا وارندر؟

لم يكن هناك ما يدل على أن غلوريا تعرفه.

www.elromancia.com

أضاف: «أنا شقيق ريف».

اتسعت عينا مارغ دهشة، فالتشابه بين الأخوين لا يتعدى البشرة السمراء. كانت تعرف أن لريف أخاً، فقد ذكر هذا في يوم ما أو ربما ذكرته غلوريا.

تمتمت غلوريا بارتباك: «كيف.. كيف حالك؟».

سرعان ما نهض جسمها الصغير عن الأريكة ووقفت أمامه ناسية أن في حضنها دفتر الملاحظات الذي وقع أرضاً حيث تناثرت الأوراق على البلاط.

صرت مارغوت على أسنانها وهي تراقب تورد وجنتي غلوريا ومحاولاتها اليائسة لجمع الأوراق المتناثرة. لم يحاول الرجل مساعدتها ولم يصدر عنه أية كلمة ديبلوماسية ليخفف من ارتباك غلوريا، ولم يبتسم حتى لإزالة كل هذا الارتباك. كان واقفاً ببساطة نافذ الصبر حتى استعادت غلوريا الأوراق التي ضمتها إلى صدرها، بطريقة دفاعية.

- ريـ.. ريف كلمني عنك دائماً.

بدا أن غلوريا غير قادرة على مواجهة نظرة الرجل، فأشاحت بصرها بعجز أما هو فكان يقف ناظراً إلى قدها الصغير بتحقير..

تجاهل الرجل التعليق الودي المقصود وقال بفظاظة:

- اتصل بي ريف هذا الصباح، وقال إنه طلبك للزواج.

أهو عدم التصديق.. لا.. لقد عرفت مارغ أن ما في صوته أكثر من عدم التصديق.. إنه الازدراء القاطع.

ابتلعت غلوريا ريقها بصعوبة: «أجل».

جاء اعترافها بصوت هامس وكأنه اعتذار ذليل.. وكان تذللها ذاك ما زاده تجهماً وقسوة. سألها متحدياً ببرود:

- متى تتخرجين آنسة وارندر؟

- أمامي.. عام آخر.

لان صوته، وانخفض عندما قال:

- أمام ريف ثلاث أو أربع سنوات لينال درجة الحقوق الأخيرة.. فهل أعيلك وأعيل أخي مدة أربعة أعوام؟

انتفضت غلوريا وتقوقعت على نفسها بشكل ظاهر! يا للمستأسد المتسلط! إنه ليس بمتسلط فحسب بل هو مستبد أيضاً. إن هذا الرجل قادر على استخدام قوته الجسدية لتحقيق مأربه تجاه شخص آخر إن لزم الأمر. والنساء هن أضعف جسماً وأسهل هدفاً لذا ليس لغلوريا الخجولة، المخلوعة الفؤاد فرصة في مواجهة سخريته اللاذعة.

انصرفت مارغ إلى الهاتف غاضبة، قاطعت بيل بقولها: «بيل عليّ الذهاب، اتصل بي غداً».

وعندما وضعت السماعة، كان فكرها مشغولاً بما قد تفعله لإنقاذ فضلى صديقاتها. إن تولت عنها الجدال باء الجدال بالفشل، لأن هذا الرجل لن يصغي إلى منطق امرأة، مهما كانت محقة.. وما من شك أنه يرى أن للمرأة مكانين فقط في الحياة: المطبخ وغرفة النوم.

ضاقت عيناها للحظة، وعلت ثغرها بسمة رضى.. حسناً. إنه يؤمن بأن النساء مخلوقات سخيفة لا تتغير.

دفعت باب غرفة الهاتف، وخرجت وهي تضم دفترها إلى صدرها.. توقفت، ثم تبنت نظرة «الشقراء البلهاء» وتقدمت لمواجهة خصمها.

قالت بحبور لشريكة سكنها: «هاي غلوريا.. أنا جاهزة الآن».

www.elromancia.com

تعامت عن الصدمة البادية على وجه غلوريا وتعمدت أن تكون نظرتها بريئة.

مع أنها كانت مستعدة لنظرته الكريهة، إلا أنها ذعرت ما إن رأت عينيه الشرستين، وأحست كأنما شرارات فضية تشع من عينيه إلى وجهها قبل أن يرتد طرفه عنها غاضاً نظره وكأنها شخص عديم القيمة.. رفرفت مارغ عينيها لحظة لتسترد رباطة جأشها.. فلم تتوقع من شخص شعره أسود أن تكون عيناه رماديتين كالمعدن.

انتاب غلوريا ارتباك وخوف. ارتدت عيناها البنيتان المتوسلتان إلى وجه مارغ التي حاولت بعث الطمأنينة إليها عبر ابتسامتها التي كانت تحثها بلطف على تقديمهما واستغرقت غلوريا بعض الوقت لتفهم حيرتها.

- أنا.. أود أن تلتقي شريكتي في السكن.. صد.. صديقتي.. مارغ بريسكوت.. مارغ.. هذا.. هذا شقيق ريف.

ارتعش صوتها، واجتاحت وجهها موجة احمرار:

- أنا.. آسفة جداً. لكنني لا أعرف اسمك الأول.. سيد كونورواي.

- كونورواي يكفي.

رفع سيكارة بين شفتيه وارتفعت يده السمراء تشعل طرفها.

- تشرفت بمعرفتك سيد كونورواي.

لن تمد له يدها للتحية لأنها متأكدة أنه سيتجاهلها وهذه إهانة لن تسمح بها.

- وأرجوك، نادني مارغ.. أصدقائي ينادونني هكذا.

مرت نظراته الزئبقية على وجهها مجدداً بنفاد صبر وكانت تعابير وجهه توحي بأنه يتمنى لو تذهب في حال سبيلها، ولكن هذا ما

زادها تصميماً على البقاء. اتسعت ابتسامتها ونظرت إلى غلوريا التي عاد إلى وجهها بعض اللون، نظرة دافئة:

- أعرف لماذا أنت هنا سيد كونورواي.. لا ريب أنك سمعت بخبر غلوريا وريف.. أليس هذا أمراً رائعاً؟

في نظرته كلمات تقول أن تخرس وتغرب عن وجهه، إذن لم يفهم البلاهة الطبيعية التي تبنتها فسارعت تضيف بانفعال زائف:

- يحسد الجميع غلوريا، فعندما تراهما معاً يعتمر نفسك الدفء. إنهما متحابان حباً يشع كالذهب الخالص.. وريف يحسن رعايتها فما من أحد يجرؤ على قول كلمة ضدها أمامه.. ستكون فعلاً فخوراً به خاصة عندما ترى الطريقة التي يدافع فيها عنها.

ربما يريد أن يفسخ الخطوبة، ولكنها واثقة أن ريف لن يخضع للتهويل بسهولة كغلوريا. ضاقت عينا أخيه لتعابير وجه مارغ الساذج المخادع.

رمى بنزق الكلمات ودخان سيكارته يلتف حول وجهه:

- آنسة بريسكوت!

دعت مارغ إلى الله أن يعي جمالها الأشقر، لكنه بدا غير مهتم بجمالها أو بجاذبيتها. قاطعته بسرعة قبل أن يضيف الكلمات التي أراد بها صرفها عنه.

- مارغ.. أعتقد أنك قطعت كل هذه المسافة لتقابل خطيبة أخيك ويا له من أمر رائع! أراك وأخاك مقربين جداً.. حتام أنت باق هنا؟

سحب نفساً عميقاً من سيكارته ليكبح جام غضبه. وأجاب بكلمات ذات معنى وهو ينظر عبر سحابة الدخان إلى غلوريا:

- حتى أنهي ما جئت من أجله.

www.elromancia.com

أي حتى ينهي الأمور بين غلوريا وريف؟

عصف بها الغضب فكيف يرفض غلوريا زوجة لأخيه حتى قبل أن يلتقيها. أفرجت عن الغضب الذي احتقن في داخلها بضحكة لطيفة تاركة بريق المعركة في عينيها يؤول على أنه لمعان سعادة.

ـ هذا يعني أن بإمكانك مرافقتنا إلى العشاء ليلة غد.

دفعتها نقطيبته الغاضبة إلى الشرح:

ـ أنا وغلوريا وريف خارجون لنتعشى احتفاء بخطوبتهما.. ليس لغلوريا عائلة إلا عمتها.. وأنا أعتبرها أختي التي لم تلدها أمي. إنه احتفال عائلي.. ألم تفقد أبويك أيضاً سيد كونورواي ولم يبق غيركما أنت؟ وربما الآن بإمكاننا نحن الأربعة تناول العشاء ومباركة الخطوبة السعيدة. هل رافقتك زوجتك سيد كونورواي؟

رمشت بأهدابها الطويلة المعكوفة في وجهه القاسي التعبير.. فأجابها بصوت بوحي صراحة بأن هذا ليس شأناً من شؤونها.

ـ ليس لدي زوجة آنسة بريسكوت.

أرجعت مارغ رأسها إلى الوراء، تنفض الشعر الأشقر الذهبي حول كتفيها.

ـ أراهن أنك ستكون عماً قبل أن تصبح أباً. واسمي مارغ.

طافت عيناه في وجهها المغتبط ثم انتقلتا إلى عنقها.. أحست بأنه يود لو يهزها بين يديه حتى تصطك أسنانها وتقع. في هذا الوقت تحركت غلوريا بقلق ووقفت قرب صديقتها. أدارت مارغ نظرها إلى صديقتها، التي كانت عقد أصابعها بيضاء من شدة الضغط على دفتر الملاحظات الذي تناثرت أوراقه قبل قليل، إذ لم يرجع إلى غلوريا رباطة الجأش وجود مارغ إلى جانبها وتوليها زمام الأمر نيابة عنها، بل كانت على شفير الانهيار أما الدموع فتجمعت في مآقيها

بذل.

مدت مارغ يدها تمسك معصم صديقتها وتلويه إلى الأعلى ثم صاحت مذعورة:

ـ انظري كم تأخرنا غلوريا.. عندنا بحث يجب أن ننهيه قبل يوم الاثنين.. هيا! ستقفل المكتبة في وقت قريب..

تركت معصم غلوريا ودست أصابعها في كتفها ثم شدتها واقتادتها نحو الباب ثم قالت للرجل:

ـ سترى أخاك ريف وهو بدون شك سيبلغك بالوقت الذي سنلتقي به جميعاً للعشاء ليلة الغد.. تشرفت بمعرفتك أعرف أن سعادتك من أجلهما توازي سعادتي.. عمت مساء سيد كونورواي.

رد على تلويحها الوداعي بنظرة عميقة كئيبة، شعرت بعينيه الرماديتين تلحقان بهما حتى أقفلت الباب وراءها.. ساعتئذ فقط، خففت من يدها، وتنسمت بقوة جرعة من المساء العليل.

كانت راحتا يديها تنضحان عرقاً. إن هذا لغريب! مسحت العرق على جنبي سروالها الأزرق.. لا تذكر أبداً أنها وقعت تحت إرهاب رجل.. هذا الكونورواي المتعجرف أثر فيها أكثر مما أدركت.. التفتت إلى غلوريا التي ما زالت أعضاؤها مرتعشة، وقالت بصوت مرتفع:

ـ إذن، هذا هو شقيق ريف الأكبر؟

أطلق قولها غلوريا من عقال الخوف الذي أخرسها، ونقلت عيناها الواسعتان الحائرتان إلى الشقراء.

ـ أوه.. مارغ.. إنه لا يريد أن أتزوج ريف!

كانت الهستيريا تشد أطراف صوتها فالحب الكامل انقلب إلى كابوس..

www.elromancia.com

ـ قبل أن تدخلي إلى الغرفة قال إنِ كنتِ أحب ريف حقاً لن أتمسك بالزواج به. قال إن على ريف أن ينهي تعليمه ومن ثمَّ يبدأ بالحياة العملية ثم قال إن عليّ ألا أثقل كاهله بعالة أخرى.

ردت مارغ بهدوء: «تفاهات، هناك نساء كثيرات ينفقن على أزواجهن في أثناء دراستهم الجامعية. وليس ريف بشخص فريد، بحيث لا تستطيعين إعالته مؤقتاً».

همست غلوريا: «إن ريف من عائلة كونورواي. وأنا أجزم أن كونورواي الأكبر لا يظنني زوجة ملائمة لريف.. أتعلمين؟ لم أسمع ريف يناديه باسمه، فإما يشير إليه بقوله شقيقي أو بـ «كونورواي».

نظرت مارغ من فوق كتفها فرأت أن كونورواي قد غادر المبنى.. فدست يدها بسرعة تحت إبط غلوريا وجرتها عن الرصيف:

ـ لا تشغلي بالك برأي شقيق ريف بك، لأن الرأي المهم هو رأي ريف وحده وأنا أعتقد أن ريف مؤمن بأنك الزوجة المناسبة له ولولا ذلك لما طلب منك الزواج.

ـ لكنني خدعته حتى أقدم على الطلب.. ألم أجعله يظن أنني مغادرة مونتانا في الصيف، وأنني لن أراه حتى مطلع الفصل الدراسي القادم؟

ـ وما الفرق؟ إن تقدم بطلب يدك الآن أم في الفصل القادم؟ هل ظننت أنه قد ينتظر أربع سنوات أي حتى ينال شهادته؟ أعتقد أن هذا الكونورواي الذي قال إنك غير ملائمة لن يلبث أن يغير رأيه.

أطاحت الريح بخصلة شعر ذهبية إلى وجه مارغ فردتها بسرعة إلى الوراء وهي تفكر في ريف. أتراه غيَّر رأيه بالنسبة لزواجه

بغلوريا فاتخذ أخاه عذراً لفسخ تلك الخطوبة؟

سألت: «هل يعرف ريف أن أخاه في البلدة؟»

ـ أظن الأخ الأكبر قرر المجيء حالما سمع الخبر من ريف في الصباح.

حمدت مارغ ربّها ففي ريف صفات لا تروق لها شخصياً، ولكنها مؤمنة بأن عاطفته تجاه غلوريا صادقة وصريحة.

سحبت مارغ نفساً عميقاً ثم باشرت حديثها عن المعركة التي تلوك في عقلها خيوطها.

ـ علينا عندما نصل إلى المكتبة أن نخبر ريف بما حدث بطريقة دبلوماسية.

هزت غلوريا رأسها رافضة «لا».

اتسعت عينا مارغ الزرقاوين: «لا؟ لماذا؟ إنه خطيبك».

ـ لن أكون السبب في خلق مشكلة بين الأخوين. لم يمر على خطوبتنا يوم كامل، ولا أريد أن أهرع إليه شاكية لمجرد إساءتي فهم كونورواي.

تساءلت مارغ إن كان المنطق هو سبب ترددها أم خوفها بأن يتأثر ريف برأي أخيه.

سألتها متحدية: «وماذا عن عشاء الغد؟»

ـ ريف.. سيتصل ريف بي صباحاً وعندها أعرف متى موعد لقائنا نحن الأربعة.

أوضح صوتها المرتعش أن نقاشهما لم يغير من ارتباكها، فما زالت غير واثقة من ردة فعل ريف، وتريد أن تؤجل اللحظة التي سيكتشف فيها الأمر.

في نفس مارغ رغبة قوية تدفعها إلى إقناع غلوريا بالاتصال

www.elromancia.com

بريف حالاً وفوراً، لكنها كبحت هذه الرغبة. . فصديقتها نادمة تقريباً، لأن تدخل مارغ أدى إلى طلب الزواج.

جعلت مارغ صوتها هادئاً غير مبال:

ـ حسناً. . لماذا لا تخبرينني كل ما تعرفينه عن شقيق ريف؟

* * *

٢ ـ في وجه الإعصار

ما تعرفه غلوريا عن شقيق ريف معلومات لا تتجاوز عدد أصابع اليد الواحدة، فالأخ الأكبر يكبره بثماني سنوات وهذا يعني أنه في الثانية أو الثالثة والثلاثين. ورث مزرعة العائلة بعد وفاة والدهما منذ خمس سنوات. وتقع هذه المزرعة في مكان ما قرب «ديلون» في «مونتانا». .

كان نصف تفكير مارغ منصباً على الفقرة التي تقرأها، أما النصف الآخر فمع كونورواي. .

إن طول الأخوين واحد ولكن عند هذا الحد يقف تشابههما فريف نحيل أما أخوه فمفتول العضلات، ذو كتفين عريضتين.

قسماتهما الأمامية متشابهة فالفك محدد بدقة والأنف روماني والجبهة تشع ذكاء. لكن الفم يختلف: ففم ريف متقوس ومتحرك، وجاهز للابتسام في أية لحظة، أما فم أخيه فقاس ومتجهم.

كانت النتيجة أنهما مختلفان كالليل والنهار فدفء الشمس ينير وجه ريف الوسيم فيما يرمي الليل ظلاله على قسمات وجه أخيه فيبدو رجلاً مميزاً إنما غير وسيم أبداً.

رنت بطرف عينها إلى غلوريا فضبطتها تحدق إلى الفضاء وعلى وجهها حيرة وارتباك. سحبت مارغ نفساً عميقاً وزفرت أنفاسها متنهدة تنهيدة طويلة فلم تكمل أي منهما شيئاً في الساعتين

www.liromancia.com

المنصرمتين.

أقفلت صفحات دفتر الملاحظات بحدة وتمتمت لئلا تزعج الموجودين في المكتبة حولها:

ـ فلنذهب غلوريا.

جمعت غلوريا أوراقها بدون أن تقول كلمة احتجاج ثم لحقت بمارغ إلى خارج المكتبة.

كان القمر الفضي بدراً فضياً فوق عاصمة مونتانا يلامس نوره قمم الجبال المحيطة بالمدينة.. راح هواء الليل البارد يتلاعب بخصلات مارغ الصفراء. سارت الفتاتان بصمت وتوتر وذهول لذا لم تسمعا همسات إطارات سيارة ما فوق الرصيف حتى توقفت قربهما. انفتح الباب الأمامي ساداً عليهما الطريق. كانت غلوريا الأقرب إلى الشارع، فتركزت عليها العينان الرماديتان الفولاذيتان.

جاء الأمر القاطع: «أدخلي سأقلّك».

كونورواي مرة أخرى!

يبدو أنه كان بانتظارهما خارج المكتبة، ولكنه يوجّه الدعوة إلى غلوريا فقط.. إنه مصمم على أن يتم حديثه معها منفرداً. تقدمت مارغ بسرعة إلى الأمام وابتسامة عريضة على شفتيها:

ـ سيد كونورواي! لم نتوقع رؤيتك منتظراً خروجنا. يا للطفك لأنك تدعونا لتقلّنا! الدراسة مرهقة فكرياً بل هي تستنزف كل طاقتنا.

عندما تسللت إلى المقعد المجاور له تجنبت النظرة التي صبّها عليها.

ـ من ير تصرفك هذا يعرف فوراً أنك شقيق ريف لأنه لطيف مثلك.

بعدما جلست، أخذت تفسح المجال لغلوريا المرتبكة لتصعد إلى جانبها ثم سمحت مارغ لعينيها الزرقاوين البريئتين مواجهة نظرته.. كان خط فمه خشناً بشكل مخيف، فتركت عينيها تشعان، ودفعت ابتسامتها إلى الذبول.

تمتمت بصوت خفيض: «آه! كنت تريد أن تقلّ غلوريا وحدها؟ لم تقصد أن تقلني أيضاً. آسفة سيد كونورواي.. لم أقصد أن أكون بلهاء.. أتريد محادثتها على انفراد؟»

قال بلهجة ساخرة: «إن كان لا يزعجك ذلك كثيراً.. آنسة بريسكوت».

ـ لا بأس.

ترجلت من السيارة وهي تهز كتفيها بخجل:

ـ المنزل غير بعيد، فطالما سرت بمفردي هذه المسافة إنما لم يحدث ذلك ليلاً.

ما إن وقفت مارغ خارج السيارة حتى تعلقت نظرة غلوريا بتوسل في وجهها. فابتسمت لها بلطف، دون أن تعطيها الطمأنينة التي تنشدها، ثم قالت تحثها:

ـ هيا، اصعدي. أراك في الشقة.

ـ مارغ.. لا.. ليس بمفردي!

كان الاحتجاج الخائف يُظهر بوضوح ارتباك غلوريا وخوفها من البقاء وحيدة مع شقيق ريف، لكن مارغ تعمدت إساءة فهمها:

ـ لا تكوني سخيفة غلوريا.. لن يتحرش بي أحد.. فالشارع مضاء كله إلا ذلك الجزء الصغير.. سأكون على ما يرام..

كما توقعت لم تصعد غلوريا إلى السيارة بل كانت مترددة تتوسل مارغ بصمت حتى تنقذها. راح كونورواي من الداخل يلعن

www.elromancia.com

ثم قال:

ـ فلتصعد كلتاكما.

كان ظهرها نحو الباب المفتوح فغمزت لغلوريا. لم تستطع إخفاء ابتسامة النصر، مع أنها تعرف أنه نصر مؤقت. حثت غلوريا على الصعود إلى السيارة أولاً ثم راح تفكيرها يبحث عن وسيلة لإنقاذ صديقتها حتى جلستا، فلا أمل لها هنا في المشاركة بالنقاش كما حدث في المنزل.

ما إن توقفت السيارة بعيداً عن حافة الطريق حتى حل الصمت المطبق الذي هدّد بأن يصبح ثقيل الوطأة على النفس.. وسرت ارتعاشة لم تستطع منعها فوق كتفي غلوريا التي أشارت إلى مارغ بعدم السماح للرجل بالسيطرة عليهما.

قالت مارغ: «أظن أن الجانب الرومانسي فيّ يجعلني أرى أن حفلات الزفاف مثيرة جداً».

سمعت صوتاً يدل على الاشمئزاز يخرج من حنجرة كونورواي، وابتسمت مطمئنة في الظلام.

ـ لقد وعدني ريف بأن أكون «إشبينتها».. أعرف أنه سيطلب منك أن تكون إشبينه. ولهذا أراني مسرورة بالتعرف إليك قبل حفل الزفاف.. كنا نتحدث عن الألوان التي على غلوريا اختيارها.. تريد اللونين الأخضر والأصفر المفضلان عندها ولكنني أفكر في الأصفر والأبيض، أو الأخضر والأبيض.. فما رأيك، سيد كونورواي؟

مالت إلى الأمام وكأنها مهتمة حقاً برده، ثم أردفت قبل أن يرد:

ـ أعتقد أن هذا يتوقف على موعد الزفاف.. فالأصفر والأبيض لا يناسبان الشتاء. مع أنني أشك في أنهما سينتظران حتى الشتاء.

جعلتها تفاهة حديثها تصاب بالغثيان.. كانت تعرف أن

كونورواي يراها شقراء سخيفة بليدة الحس. في هذه اللحظات كان اهتمامها منصباً فقط على حماية غلوريا أطول مدة ممكنة، فالمسافة ما بين المكتبة ومسكنهما قصيرة جداً.

توقفت السيارة أمام المبنى.. فأسرعت مارغ تقول بسعادة:

ـ شكراً لك لأنك أوصلتنا سيد كونورواي.

تلقت هزة رأس خفيفة رداً على كلامها.

ألقت مارغ تحية سريعة ثم ترجلت من السيارة. أرادت أن تركض إلى الباب الأمامي ولكنها جاهدت للتباطؤ قليلاً، وما إن أغلقت الباب وراءها حتى هرعت إلى غرفة الهاتف الصغيرة.

جعل الانفعال أصابعها ترتجف.. جربت الرقم مرتين قبل أن تطلبه بدقة.

ـ ريف كونورواي أرجوك.. بسرعة!

كانت مقطوعة الأنفاس، تلف سلك الهاتف على إصبعها وهي تنتظر بنفاد صبر..

ـ ريف كونوراي هنا.

ـ ريف أنا مارغ.

كانت دهشته واضحة:

ـ مارغ؟ ما الخطب؟ هل أصاب غلوريا مكروهاً؟

ـ أجل، بطريقة ما. ليس لدي وقت طويل لأشرح لك. أخوك هنا.

ـ كونورواي؟ اللعنة عليه!

فهمت مارغ أن كونورواي أوضح لأخيه رأيه بخطوبته في الصباح، وهذا يعني أنها لن تضطر إلى شرح مطول. سحب نفساً عميقاً، عليها أن تعلمه بمعرفتها بعدم موافقة أخيه على الخطوبة:

ـ إنه وغلوريا خارج المنزل الآن. أنا مؤمنة أنه يقول لها إن خطوبتكما خطوة غير حكيمة.. لم تشأ غلوريا أن تعرف أنت بالأمر.. لذلك أريد منك عندما أناديها لأقول لها إنك على الهاتف، أن تتظاهر بأنك المتصل.

رد ريف متجهماً: «سأهتم بالأمر».

وضعت السماعة جانباً ثم هرعت إلى السيارة خافقة القلب فانحنت نحو النافذة.

ـ غلوريا، اتصل ريف وهو يريد محادثتك.

في صوتها أثر للانتصار.. وقد ازداد هذا الإحساس عندما رأت الارتياح الذي انبسط على أسارير صديقتها.

انطلقت غلوريا كالرصاص إلى خارج السيارة غير عابئة بإلقاء كلمة وداع للرجل المتجهم الوجه القاعد خلف المقود. ولكن مارغ لم تستطع مقاومة النظر إليه.. في بعض الأوقات يحب المرء صبَّ الملح فوق الجرح.

قالت بعذوبة:

ـ ربما ترغب في محادثة ريف، سيد كونورواي؟

اشتد ضغط فمه: «لا.. آنسة بريسكوت.. لا أرغب».

شغل المحرك ثم انطلق بالسيارة.. فأقفلت مارغ باب السيارة، والرضى يشع من عينيها الزرقاوين اللتين راحتا تراقبان أنوار السيارة المتوارية مهزومة هذه المرة.

عادت إلى المبنى بخطوات كسولة.. وهناك رأت ابتسامة سعيدة تشع من وجه غلوريا الباكي فعرفت أن ريف بذل جهده ليقنعها بحبه. لقد فشلت أولى محاولات كونورواي، فهل سيكرر محاولاته ثانية؟

ارتفع حاجبها البني الرفيع بريبة. أجل سيفعل ذلك على الأرجح.

لم تعتد مارغ على أن تسأل غلوريا عما يقوله ريف لها، فغلوريا إنسانة منطوية على ذاتها عندما يتعلق الأمر بمشاعرها الداخلية وترفض التطفل.

انتهت الأمسية بالتأكيد على أن العشاء في الأمسية التالية واقع. على مارغ المشاركة به خاصة بعدما دعت كونورواي إليه.

ما إن حلّ الموعد حتى اكتشفت مارغ أنها ويا للغرابة تتطلع شوقاً إلى لقاء آخر مع كونورواي.. ولكنها عزت السبب إلى فضولها. فمن المثير للاهتمام أن تعرف ما هي خططه بعدما واجه جبهة متحدة. لقد فشل في فصل غلوريا عن ريف وعنها، فهل سيحاول مواجهة الثلاثة معاً؟

أبلغت مرآة جدار الفندق مارغ أنها اختارت ملابسها بعناية فائقة، فقد أعطاها فستانها البسيط جواً من البراءة فيما ألقى لونه اللازوردي تأثيره في عينيها الزرقاوين.. التقطت ابتسامة ريف الدافئة في المرآة وردت عليها، كانا رفاق سلاح اتحدا من أجل حماية الفتاة الصغيرة ذات الشعر الغامق الماشية بينهما.

ـ أين هو؟

في سؤال غلوريا نرفزة ظاهرة، فعيناها تجوبان ردهة الانتظار، بما فيها السلم المفتوح، بحثاً عن الرجل الذي جاءوا لملاقاته. اشتدت ذراع ريف حول خصرها.

ـ قال كونورواي إنه سيلقانا في الصالة.

سألت مارغ: «أليس لأخيك اسماً صغيراً؟».

ـ أجل.. اسمه رايد.. لكنني لا أذكر متى ناداه أحد بهذا

www.elromancia.com

الاسم. وأنا لا أنصح بأن تناديه رايد، إلا إذا أردت أن تصبحي ضفدعة في ناظريه. إنه يكره الاسم.

ـ رايد؟ لكنه اسم رائع.

ـ أسمته أمي باسم أبيها الذي كانت معجبة به.

دس يده تحت مرفق غلوريا، ومد يده الأخرى ليفتح باب الصالة. رغبت مارغ في الاستفسار عن تلك المسألة الغريبة.. ولكن لا وقت لديهما لمناقشة تاريخ أسرة كونورواي، فقد دخلوا إلى الصالة حيث كان شقيق ريف منتظراً.

ألقت عيناها نظرة على الأشخاص الموجودين في الصالة فلم تره بينهم.

ومض نور ثقاب في مقصورة ما في الزاوية، أضفى نوراً ذهبياً على الشعر الأسود العقيقي وعلى القسمات السمراء.

شعرت مارغ بأن ريف رأى أخاه أيضاً. تلاقت عيونهما من فوق رأس غلوريا، لتقول لها عيناه فلننه الأمر. اقتادت اليد التي تلف الخصر النحيل غلوريا إلى المقصورة.

أنبأ لمارغ حدسها بأن كونورواي رآهم حالما دخلوا. مع أنه لم يعترف بوجودهم، حتى اقتربوا منه، في تلك اللحظة نهض برشاقة لملاقاتهم.

لم يكن يرتدي السترة المزينة بجلد الغنم أو الجينز ولم يكن منتعلاً الحذاء العالي الساقين، وأدركت مارغ، متأخرة، أن مظهره أثر فيها كثيراً في لقائهما السابق.. ولم تكن تتوقع المكر والدهاء اللذين تراهما الآن. لو نظر غريب إلى هذا الرجل المرتدي سروالاً رمادياً وسترة سوداء فوق قميص أبيض لظنه مدير أعمال، ولما وافق أبداً على تصنيف مارغ له عندما كان مرتدياً ثياب الرعاة تلك.

لقد أساءت تقديره، وهذه غلطة لن تكررها أبداً.

تجاهلت العينان الرماديتان المعدنيتان مارغ وغلوريا وانصبتا على عيني شقيقه. أجبره ريف على الاعتراف بوجودهما بتقديمهما رسمياً. صحب ذلك ابتسامة ساخرة اعتلت الفم القاسي، لكن النظرة الموجهة باختصار إلى مارغ وغلوريا، كانت متحفظة وخالية من المشاعر.

قال بلطف: «هلاَّ جلسنا».

تأكدت مارغ بخبث من الجلوس قرب كونورواي.. ولكن ألبس من الطبيعي أن يرغب ريف في الجلوس قرب غلوريا، مع أن مارغ تمنت لو اختار الجلوس قرب شقيقه؟

كانت رغبتها في الالتصاق بالجدار قوية لا تقاوم فقد بدأت راحتا يديها بالتعرق ولكنها أجبرت نفسها على الاسترخاء والتوقف عن الخوف من الرجل الجالس قربها. لقد تلاعبت به بكل سهولة بالأمس، لذا لا سبب يدعوها إلى الخوف من عدم قدرتها على تكرار ذلك إن دعت الحاجة.

سأل ريف حتى يكسر الصمت عن المزرعة فتلقى رداً مبهماً من كونورواي. نظرت مارغ بسرعة إلى وجه صديقتها الشاحب متوقعة أن يكون الحديث التالي عن الطقس.

بعدما سجلت الساقية طلباتهم، لاحظت مارغ نفاد الصبر يعتمر وجه ريف، أما كونورواي فلم يكن غاضباً.. بل الواقع أنه بدا قانعاً بإفلاتهم.

قالت مارغ، بعدما تلقت رداً مختصراً من كونورواي على سؤال لريف:

ـ هل لي بسيكارة؟

www.elromancia.com

كان ريف يمد يده إلى جيبه عندما أخرجت يد الرجل الجالس قربها سيكارة من العلبة، وقدمتها لها. هل ما شاهدته في عمق عيني كونورواي الرماديتين شيء من التسلية؟ أعرف أن طلبها للسيكارة حيلة للتخفيف من حدة تعبير ريف، وإلهاء غضبه المتصاعد؟

رفضت بابتسامة هادئة:

ـ لا.. شكراً لك.

أصبحت علبة ريف أمامها.. فأخذت واحدة منها، تشرح سبب الرفض بخفة مدروسة:

ـ أفضل السكائر ذات الفيلتر، فالنوع الذي تدخنه سيد كونورواي يلتصق تبغه بأحمر الشفاه.

تركزت عيناه على شفتيها وقال بصوت أجش:

ـ أحسد التبغ!

اضطرب نبض في عنقها وهي تنظر عن غير قصد إلى فمه الصارم القاسي.

سمعت هسيس ثقاب ثم شاهدت أصابعه تلتف حول الشعلة ليقدمها إليها.. ابتعدت عيناها بطريقة لا إرادية عن بريق السخرية في عينيه.. لا يمكنه قراءة أفكارها.. أحنت رأسها الذهبي فلامست طرف سيكارتها الشعلة.

عندما وصلت المرطبات انشغل الجميع بها مؤقتاً، كلما أمعنت مارغ التفكير في ملاحظة كونورواي المكشوفة، ازدادت اقتناعاً بأنها لم تكن محاولة لمغازلتها فليس كونورواي من الصنف العابث. لقد كان يقرر أمراً واقعاً. طالما أطراها الرجال، فلماذا تزعجها ملاحظته العابرة عن جمالها؟ إن هذا غير منطقي.

التفت أصابعها حول الكأس الباردة أمامها، وابتسمت لغلوريا

التي كانت تنظر باضطراب إلى ريف. أخذ يخزها التيار الكهربائي المنبعث من الرجل الجالس، فرفعت كأسها:

ـ أريد أن أقترح نخباً.. نخب السيد والسيدة ريف كونورواي العتيدين.

رأت كونورواي بطرف عينها يرجع إلى الوراء، وكأنه يبعد نفسه عن المجموعة.. تسلل لون وردي خجول إلى وجنتي غلوريا وهي تنظر إلى وجه ريف المبتسم عبر أهدابها السوداء.. جعل انعكاس الإحراج شرارات الحب في عينيها ملموسة. تلاقت ثلاث كؤوس فوق المائدة، لكن غياب الرابع كان بارزاً. تلاشت البسمة اللطيفة على وجه ريف ثم تصادمت عيناه بعيني أخيه. لم يقرب ريف الكأس إلى فمه، بل قال بحزم:

ـ كونورواي؟

لم يتأثر كونورواي بالتأنيب القاسي بل بدا مستريحاً، واثقاً من نفسه.

قال في رد وقح، غير لطيف:

ـ لقد جعلت من عدم رضاي عن خطوبتك واضحة.. فلا تتوقع مني شرب نخبها، ريف.

ـ لكنها حياتي.. ولي ملء الحق بتسييرها كما أريد.

ـ ولي كوني أخاك الأكبر الحق بالتدخل أو الحق بإبداء رأيي، على الأقل إن كنت مصمماً على الزواج بهذه الفتاة، فلن أستطيع منعك. ولكنني أستطيع سحب دعمي لك، بل هذا ما سأفعله.

صاح ريف: هذا ظلم كونورواي.. المال مخصص لتعليمي.

ـ ولكن من سوء حظك إن والدنا أعطاني الحق الحصري بالنسبة للمال وذلك حتى تبلغ الثلاثين.

www.elromancia.com

كان الصوت الخفيض كسولاً هادئاً عندما كشف صاحبه عن أوراقه. ولكن ريف أجاب بأن أحاط كتفي غلوريا يضمها إليه:

- قد تصاب بصدمة، فأنا وغلوريا قادران على النجاح بدون دعمك. وهذا يعني التضحية من كلانا. سنعمل فترة معينة وسنحاول تسديد أقساط الجامعة شيئاً فشيئاً، صدقني سننجح.

سأله كونورواي ساخراً: «وتحافظ على درجتك العلمية التي تنالها حالياً؟»

- ربما سأتأخر. إنما في النهاية سنتخرج.

- يا له من موقف نبيل! الكفاح بمفردكما حتى النهاية، لكن الواقع القاسي أنكما ستكونان مشغولين بالكفاح لتبقيا على قيد الحياة، وستمر أربع أو خمس سنوات قبل أن تدرك غلطتك. أنتما ببساطة غير منسجمين، وحتى ذلك الوقت قد ترزقان بطفل.. أنا وأنت ريف نعرف كيف تكون الحياة مع أبوين منفصلين.

رد ريف بشراسة: «أنا وغلوريا منسجمان كل الانسجام وحبنا إلى ذلك قوي».

رد بهدوء أصمت ريف: «هذا ما ادعياه والدانا».

لم يعد ريف قادراً على ملاقاة نظرة أخيه، وهذا دليل مؤكد على أن قول كونورواي قد لمس وتراً حساساً لدى ريف.. وترك الأخ الأكبر الصمت المشحون يستقر بثقله على المائدة قبل أن يضيف بهدوء:

- أنا لا أحاول تعسير الأمور.. بل أحاول الاحتكام إلى المنطق ريف.. هذا ليس الوقت المناسب لربط نفسك بزوجة.. ليس لأنك صغير السن بل لأنك في السنوات القليلة القادمة بحاجة إلى تخصيص وقتك لدراستك ومستقبلك.. فتهمل بذلك ما يحق

للزوجة من اهتمام أو العكس.. توقيتك خاطىء ريف.. أنت تتوقع الزواج بعينين مغمضتين. افتحهما.. وتأكد أنك لا تمزج بين الرغبة والحب.. عاشرها، اجعلها خليلتك. إنما لا تكن غبياً وتتزوجها.

أصبح وجه غلوريا الرمادي قرمزياً.. وتساءلت مارغ لماذا اعتقدت أنه سيكون أقل وقاحة بوجود الثلاثة معاً.. كان ريف قد بدأ يصغي إلى جدال أخيه ولكن قلة الاحترام في كلامه الأخير، ويا لحسن الحظ، أزالت أثر الممرات الداخلية التي بدأ يشقها في نفس أخيه..

لم يحاول ريف إخفاء غضبه:

- لو أزعجت نفسك بالتعرف إلى غلوريا، لما تسرعت في إهانتها!

- لم أدع قط أنني ذلك اللبق في هذه العائلة. اسمع ستهدر وقتك وجهدك في الدفاع عن شرف هذه الفتاة أمامي.. إن وجدت أنك بحاجة إلى القيام بشيء ما فاذهب وهيىء لنا مائدة في غرفة الطعام.

سادت لحظة صمت مشتعلة قبل أن يقف ريف، مشيراً إلى غلوريا حتى ترافقه وكان أن نسيا أمر مارغ. تفرست بالرماد المتجمع في نهاية سيكارتها، وأفكار مجرمة تتسابق إلى ذهنها..

التفت كونورواي متحدياً بصوت هادىء:

- حسناً.. آنسة بريسكوت؟

نظرت إليه عينان نجلاوان.

- نعم؟

- من الواضح أنك تؤازرين هذه الخطوبة.. ألن تدافعي عن صديقتك؟

www.elromancia.com

ـ لا رغبة لي في تكذيبك بفظاظة. . لكنني أرى ثلاثة أشياء تتعلق بهما: هناك رغبة جسدية، ولكن مشاعرهما قوية وعميقة، وأظن أن شخصية كل منهما تكمل الأخرى، وتفي بحاجاتهما الأساسية.

ـ يميل ريف إلى وراثة جدنا. . فهو ذو طموحات سياسية، فهل تتصورين غلوريا زوجة سياسي؟ سيكون خجلها وجبنها مشكلة بعد عدة سنوات.

نفضت مارغ ببطء رماد سيكارتها، غير قادرة على ملاقاة عينيه لئلا تفضح عيناها الموافقة الجزئية.

ـ يجب أن يتزوج ريف في النهاية فتاة مثلك قادرة على أن تكون عون له على مستقبله.

غضنت نقطية ارتباك جبينها، وهي ترجع خصلة من شعرها الذهبي إلى ما وراء أذنها.

سألت: «مثلي؟»

ـ امرأة جذابة. . جميلة، تكون مضيفته التي ستستقبل جميع الشخصيات المهمة.

أحنت مارغ رأسها إلى جانب واحد وكأنها تفكر في ما يقول:

ـ حقاً؟ من الغريب كيف تتضارب آراؤنا. كلما رأيت رجلاً في مكتب عام يساورني الإحساس بأنه فقد اتصاله بالناس العاديين. وأضف إلى هذا أن ريف برأيي يفضل زوجة منتظرة في البيت لا زوجة تشاركه العمل.

ضاقت مرة أخرى الأهداب السوداء فأسدلت ستارة على عينيه لا يمكن اختراقها.

ـ هذا رأي مثير للاهتمام. أنت مقتنعة بأن زواجهما سيحقق

النجاح؟

ـ بل سيكون ناجحاً جداً.

ـ وهل تؤيدين زواج طالبين لم يبرحا مقاعد الدراسة؟ أترضين أن تعيله غلوريا وتعيل نفسها بضع سنوات، حتى ينال درجته الجامعية؟ إن هذا ضغط كبير على الزواج. . ألا توافقينني الرأي؟

هزت مارغ رأسها وبريق المعركة في عينيها الزرقاوين. أجبرت نفسها على الابتسام لإخفاء العدائية التي أثارها فيها.

ـ أجل. . ولكن لو ساعدتهما لما احتاجا إلى الكثير من الكفاح. .

ـ أهذا ما عليَّ القيام به برأيك؟

كان كونورواي يستند إلى الخلف بحيث زادت الظلال عمق لون شعره الأسود. . لقد أضاء قسماته القوية الصارمة نور خفيف فقط. . جعلها تفرس عينيه الجريئتين تحس بالسحر البدائي الذي يملكه. . وتسارعت نبضات قلبها الذي تأثر بسحر رجولته الغامرة.

أشاحت رأسها، وتظاهرت بالتركيز على إطفاء السيكارة. . يجب أن تتحرر من جاذبية نظرته المغناطيسية.

ـ لن أدعي أبداً أنني أقول لك ما يجب أن تفعل.

ضحكت بصوت منخفض موحية بأن الفكرة سخيفة.

ـ ألن تدعي؟

قبلت الكلمات الساخرة بصوت منخفض لم تكن مارغ واثقة أنها سمعتها أم تخيلتها. . ولكن عندما تكلم ثانية لم يكن هناك مجال للخطأ، إذ كان صوته واضحاً وهادئاً:

ـ لكنك قد لا تخالفينني الرأي لو قلت إنك تفضلين أن أتعرف إلى غلوريا بشكل أفضل قبل أن أتخذ قراري النهائي.

www.elromancia.com

ـ بالتأكيد لن أخالفك الرأي فليس هناك ما هو أسوأ من النفور بين أخوين. أعرف أن غلوريا ستتألم كثيراً في ما لو سببت المزيد من الجدال بينك وبين ريف.

وهذه بكل تأكيد الحقيقة.. فغلوريا أكثر من حساسة:

ـ وأنا لا أريدهما أن يقوما بما هو غبي كالفرار والزواج سراً.

كانت العينان النافذتان منصبتين على وجهها ووجدت أن من الأفضل تركه يعتقد أنها تتكلم بحكمة البسطاء، وأنها لا تحاول تهديده لكي يغير رأيه.

طافت نظرة عميقة بوجه مارغ، ثم مد كونورواي يده ليمسك الكأس الباردة أمامه.. شرب العصير وأعاد الكأس الفارغة إلى المائدة. ثم قال مقترحاً:

ـ هل نذهب للبحث عن ريف وصديقتك.. ربما قررا تناول العشاء بدوننا.

هزت مارغ رأسها موافقة، وانتظرت حتى وقف لتخرج من المقصورة.. ألقت عيناه نظرة شاملة عليها وهي واقفة قربه ولمستها يد، لم تقودها مباشرة، لكنها كانت تشعر بوضوح بالرجل الذي يرافقها!

* * *

٣ ـ ذئب وحيد

كان الحديث على العشاء رسمياً وفارغاً.. وكان بالإمكان أن يريح التوتر بضعة تعليقات لطيفة من جانب كونورواي، ولكنه لم يقم بها. لقد ظنت مارغ أن كلامها قد ترك أثراً في نفسه.. ولكن نظرة واحدة إليه أكدت لها أن ما قالته لم يغيّر شيئاً من موقفه بشأن خطوبة غلوريا وريف.

ولكن الحسن في الأمر أنه لم تتم أية مواجهة أخرى.. اعتقدت مارغ أن السبب اعتقاد كونورواي أنه دفع ريف إلى أبعد حدود قد يجرؤ عليها، ولكن هدفه الأساسي كان إتعاس غلوريا وقد نجح. لا تتذكر مارغ أنها رأت وجه صديقتها مضطرباً هكذا.

عندما كان كونورواي مشغولاً بتسديد الفاتورة، قررت مارغ أن تترك الخطيبين بمفردهما. ستستقل سيارة أجرة تعود بها إلى الشقة.

قالت بهدوء لأنها لا تريد جذب انتباه كونورواي:

ـ ريف.. لماذا لا تنطلقان معاً؟ لا تخشيا عليَّ سأتدبر أمري.

بدت الراحة في عيني ريف: «أهذا ما تريدينه حقاً؟»

ابتسمت: «إنه اقتراحي».

فتحت غلوريا فمها لتحتج ولكن كونورواي ارتد متحركاً نحوهم. كانت خطواته الكسولة الخادعة تقطع المسافة بسرعة. نظر الأخ الأكبر إلى ريف الذي يضمّ غلوريا نظرة ساخرة ثم قال:

www.elromancia.com

ـ نلتقي هنا في السابعة لتناول الفطور ريف، وذلك قبل أن أتوجه إلى المزرعة.

لم يكن مجرد اقتراح بل أمراً. زادت مارغ من الصرّ على شفتيها بسبب هذا التسلط ولكنها بسطت شفتيها بابتسامة حالما التفتت العينان الرماديتان إليها.

انحنى رأسه المتعجرف الأسود، مودعاً: «آنسة بريسكوت».

ـ عمت مساء سيد كونورواي.

افترقوا في بهو الفندق، حالما اختفى كونورواي عائداً إلى غرفته.. عرض ريف عليها أن يقلها، ولكنها رفضت بخفة. فأصرا على الانتظار حتى اتصلت مارغ بشركة تاكسيات وتلقت تأكيداً بأن السيارة قادمة حالاً.

انطلقت سيارة ريف من موقف سيارات الفندق. ووقفت مارغ تراقب من وراء الزجاج رأس غلوريا الأسود يستريح على كتف سائقها.. إن طريق الحب الصادق غير مفروشة أبداً بالورود. أليس هذا ما يقال؟ إن حبهما صادق.

ـ لا تقولي لي إنهما نسيا اصطحابك معهما؟

ارتدت بحدة تركز عينيها المذعورتين على كونورواي.. كانت إحدى ذراعيه تفتح السترة واليد الأخرى في جيب سرواله. أضاف بلهجة ساخرة:

ـ أم تراك رتبت أمر تركك هنا؟

فقدت لبرهة القدرة على الكلام. ارتفعت يدها إلى حنجرتها وتمكنت من إصدار ضحكة حادة:

ـ لقد أخفتني!

علق شعرها في ياقة معطفها الخفيف، فحررته ثم أردفت:

ـ لن يعود غلوريا وريف مباشرة إلى المنزل. لذلك قررت أن أعود بالتاكسي.. فأنا لا أحب أن أكون عزولاً..

كان صوتها خفيضاً ومقطوع الأنفاس بشكل غريب. هو لا يعتقد أنها بقيت على أمل رؤيته مجدداً.

ـ أشك في أن تكوني أنت «العزول».

شدد على كلمة «أنت» ثم أضاف:

ـ لكن لم يكن هناك حاجة لطلب التاكسي.. أنوي القيام بنزهة في السيارة. سأقلّك.

ـ لا داعي لهذا.. فالتاكسي في طريقه إليّ.

نظرت بسرعة من الزجاج، فلمحت أنوار سيارة تنعطف تجاه الفندق.

ـ في الواقع أنها هنا الآن. أشكرك لك عرضك على أي حال.

قبل أن تمد يدها إلى مسكة الباب، كانت ذراعه أمامها لتفتحه لها، عندما مرت من تحت ذراعه نظرت لا إرادياً إلى عينيه الرماديتين اللتين لا تعكسان إلا صورتها، كان سائق السيارة قد اقترب من الباب حالما خرجت إلى الممر الخارجي وكان كونورواي وراءها مباشرة.

ـ هل طلبتما تاكسياً؟

ردت مارغ بسرعة: «أجل».

أطبقت يد كونورواي على مرفقها وقال:

ـ لكن السيدة لن تحتاج إلى سيارة أجرة.

دس قطعة نقدية في يد السائق.

ـ هذه مقابل أتعابك.

نظر السائق إلى الورقة النقدية فتهلل وجهه.

ـ شكراً سيدي.

www.elromancia.com

سرعان ما اختفت الورقة في جيبه، ومضى في حال سبيله.

تحركت شفتا مارغ لتحتج إنما من غير المجدي مواجهة هذا الرجل، ومن الأفضل قبول عرضه بهدوء بدل افتعال ضجة.. قالت ويده تقودها نحو موقف السيارات:

ـ لعلني لم أبعدك عن طريقك سيد كونورواي.

ـ أبداً.. آنسة بريسكوت.

في صوته نبرة سخرية..

ـ لم أحدد الجهة التي سأسلكها. أضيق عادة ذرعاً بالأماكن المقفلة في المدينة.

فتح لها باب السيارة، ولم تعلق على ما قال حتى استوى إلى مقعده:

ـ لكنك تبدو منسجماً مع محيط المدينة.

ضاقت عيناها على سرواله الرمادي الرائع التفصيل وعلى سترته السوداء وكنزته البيضاء.. التفتت نظرته إليها بسرعة قبل أن ينظر إلى الخلف ليرجع السيارة.

ـ أتعتقدين أن الثياب تصنع الرجل.. آنسة بريسكوت؟

عارضته لا إرادياً: مارغ.. ولكنك لا تبدو متضايقاً منها.

ـ هذا غريب.. مارغ! خلتك تدركين أن الذئب ذئب حتى وهو في ثياب حمل.

تخلت عن واجهة البراءة، واحتدّ لسانها:

ـ وهل أنت ذئب.. سيد كونورواي؟

ـ ناديني كونورواي فقط.. أنا ذئب مستوحد يفضل السفر بدون حقيبة أو رفيقة.

ارتدت مارغ إلى الوراء.. أيحذرها؟ أيظنها تلقي شباكها

عليه؟ بالتأكيد لا! إذ لم تحاول العبث معه أو إعطاءه إشارة إلى اهتمامها به.

ربما هو معتاد على أن تلاحقه النساء. فثمة عدد كبير من النساء ينجذبن إلى مثل هذا الرجل الخطير، والفوز به برأيهن تحد كبير.. في ظل ظروف مختلفة، لحاولت هي التجربة من قبيل الاستمتاع بالأمر.

وجهت بصرها إلى الخارج متظاهرة بالاهتمام بالمناظر التي تمر بها.. بدا لها الصمت طريقة لإنهاء هذا الحديث الشخصي الغامض.

لكن كونورواي لم يترك الصمت يطول: «هل أنت من مونتانا؟»

ـ أجل.. يعيش أبواي في «وست يلوستون» حيث ولدت وترعرعت.

ـ إذن أنت معتادة على المناظر الخلابة؟

ـ وهل يعتاد أحد عليها؟ لا أعتقد.

ابتسمت بشكل طبيعي.

ـ ألديك أشقاء وشقيقات؟

ـ أربعة.. ثلاثة أشقاء وشقيقة واحدة.

أدار المقود لينعطف:

ـ أكبر منك أم أصغر؟

ـ لدي شقيق أكبر مني بسنتين، أما الآخرون فأصغر مني.

نظرت بسرعة إلى وجهه المستدير، مستغربة اهتمامه بعائلتها.

ـ آدم وهو أخي الأكبر الوحيد المتزوج بيننا. التقى زوجته عندما عمل في كاليفورنيا.. اتصل بأهلي ذات ليلة قائلاً إنه تزوج.. فصدمنا الخبر جميعاً.. ولكن ما إن أتيحت لنا فرصة لقاء زوجته

www.elromancia.com

جولي حتى أحببناها.

أدار رأسه قليلاً، ناظراً إلى وجهها قبل أن يقول بفظاظة:

ـ لم يكن المكر قطُّ فضيلة من فضائلك، أليس كذلك؟

ردت، وشرر خبيث يتطاير من عينيها اللازورديتين:

ـ لكنني لم أتقاعس قط عن المثابرة.

ـ أخوك هو شأنك أنت أما أخي فهو شأني أنا.

كان فمه خطاً قاسياً أما خطوط قسماته الصارمة فلم تتحرك قيد أنملة أمام محاولة الإقناع المغلفة بالعسل. سرت فيها رعشة خوف لا تعرف سببها، فمنذ رأت كونورواي وشيء غير ملموس يقلقها، ففي هذا الرجل شيء ما يميّزه عن أي رجل عرفته سابقاً.. في هذه اللحظة بالذات عرفت ماهو.

لم يعجب كونورواي بها، ليس لأنها جميلة أو لأنه يعتقدها غبية، بل لأنها امرأة.. أمسكت مارغ نفسها تاركة أفكارها تستوعب هذا الاكتشاف. يكره كونورواي النساء.. لا.. ليست الكراهية الكلمة المناسبة. إنه يحتقرهن ويسخر من توق أرواحهن إلى العاطفة، ويستخدمهن لإرضاء نزواته.. إنما ما السبب؟

طفولته مختلفة عن طفولة ريف الذي لا تراه يحمل أي جرح عاطفي من جراء انفصال أبويهما الذي أشار إليه كونورواي باختصار. فهل وقع في حب امرأة نبذته في وقت ما؟

هذا ممكن، ولكنه رجل مشبوب العاطفة إنما قوي لا يرحم. إنه عكس ريف.

مررت مارغ يدها على عينيها.. هل البصيرة النافذة نعمة أم نقمة؟ لا تريد أن تعرف مثل هذه الأشياء عنه.. بل لا تريد أصلاً أن تفكر فيها.

أجبرت عينيها على التركيز على المناظر الخارجية. كانا قد توجها نحو شارع بلدة هيلينا الرئيسي.

كان قديماً قناة محاطة بالصبار وقد ظلّ على تلك الحال حتى وصل أربعة أشخاص يبحثون عن الثراء.. في تموز عام ١٨٦٤، وجد الأربعة الذهب، وما إن حل الخريف، حتى اكتظت المنطقة بالمستوطنات ومنذ ذاك الوقت أطلق على المنطقة اسم «لاست تشانس غوتس» أي قناة الحظ الأخير.

وولدت المدينة ولكن الاسم لم يكن مشرفاً فحوّله المواطنون إلى هيلينا، وسموا الشارع الرئيسي الذي استخرج منه عشرين مليون دولار من الذهب بقناة الحظ الأخير.

ـ فيم تفكرين؟

قطع كونورواي الصمت مجدداً.. استطاعت مارغ أن تحس بلمسة عينيه الباردتين ولكنها لم تبعد عينيها عن الشارع المضاء.

هزت كتفيها ترد عليه: «بالمدينة وتاريخها».

سرت قشعريرة في جسمها وتمنت لو أنها لم تقابله يوماً.

ـ حقاً؟

أبطأت السيارة سيرها لتتوقف أمام مدخل المبنى السكني. أطفأ المحرك والتفت إليها. طاف البريق المعدني فوق شعرها الذهبي الذي زاده لهيباً الأضواء في الشارع.

امتدت ذراعه بإهمال إلى ظهر المقعد بحيث لم تكن تبعد إلا إنشات عن رأسها.. فتوترت قليلاً واستجابت إلى الغريزة التي نبهتها أن تتصرف بحذر.

قال بصوت هامس ساخر:

ـ خلتك تفكرين في طريقة جديدة للتلاعب بي لأغير رأيي.

ابتلعت ريقها: «أتلاعب بك؟».

رفرفت جفونها.

ـ أليس هذا ما فعلته منذ التقينا؟

ـ لا أفهم قصدك.

عرّت نظرته القاطعة واجهة البراءة والسذاجة وكانت عاجزة عن منعه.

ـ أتعني محاولتي إقناعك بإعطاء غلوريا وريف فرصة؟ أعترف إذن أنني فعلت.

ابتسم ببرود: «أتتوقعين حقاً أن أصدق أنك بريئة كما تحاولين الظهور؟»

رفرفت أهدابها مجدداً بارتباك:

ـ أنت تدور وتدور في الكلام، لا أفهم ما تقول.

ـ تمثيلك رائع.. إنما للذكاء طريقة في إظهار نفسه.

ـ تمثيلي؟

تعلم أنه أصاب ولكن إن توقفت عن تمثيل دور الشقراء البلهاء انتهى بها الأمر إلى فقدان أعصابها وعندئذ ستقول له بالضبط ما تظنه بعجرفته، وهذا الغضب لن يفيد غلوريا أبداً. مع أنه بكل تأكيد سينفس شيئاً من إحباطها.

مدت يدها إلى مسكة الباب:

ـ سيد كونورواي أنا لا أفهم كلامك. من الأفضل أن أدخل المبنى.

لكن الباب كان مقفلاً.. فتشت عن زر التحرير قبل أن تعي أنه من جهة السائق.. التفتت إليه مضطرة:

ـ هلا سمحت بأن تفتح الباب.. أرجوك!

قوبل طلبها بصمت وبنظرة رضى عن النفس.. التوى فمه بسخرية:

ـ كيف تتمكن الفراشات من سرقة هذه الكمية من رحيق الأزهار ثم تبقى ذات مظهر بريء؟

لم يكن ينتظر رداً.

فراشة! سرت الكلمة كالبرد فوق بشرتها، فاقشعر جسمها. بالأمس فقط استخدمت الاسم نفسه لتصف نفسها.. وها كونورواي يختار الاسم ذاته. أهي مصادفة؟ أم بينهما شيء غامض؟

ـ لماذا.. لماذا قلت.. فراشة؟

اضطرت إلى طرح السؤال، كانت مقطوعة الأنفاس مذهولة.

أجاب ببطء وعجرفة:

ـ لأنك ضعيفة كالفراشة ومثابرة وجميلة مثلها.

إنّ نبرة صوته تدينها ولا تطريها. لحقت إصبعه بخصلة شعر ذهبية أبعدها عن وجهها ثم امتدت نزولاً إلى مؤخرة عنقها. تسمرت مارغ كالفراشة التي أطلق اسمها عليها، وسمّرتها نظرته الفولاذية الحد..

قال همساً: «طالما تساءلت ما إذا كان العسل أحلى من ثغر الفراشة مباشرة».

أحاطت يده بمؤخرة عنقها والتوت أصابعه في شعرها، لتزيد من الضغط على رأسها حتى يتمكن أكثر من جذبها إليه. سرعان ما انفتحت راحتا يديها على صدره تقاوم.

بدر عنها احتجاج ملؤه الذهول.

ـ لا!

شدَّ شعرها ليدير وجهها إليه، ووميض بريق ساخر في عينيه قبل

www.elromancia.com

أن تلتف يده الأخرى حولها تكمل العناق.

ضمها إليه بوحشية كمفترس يطبق على فريسته. أحست بطنين في أذنيها وبنيران حارة من الإذلال تتسابق إلى شرايينها، ثم شعرت وكأن عنقها ستتحطم تحت عنف يده.

ليست هذه طريقة عناق رجل لامرأة. ولكن قوته كانت غامرة.. ومقاومتها ما كانت سوى رفرفات فراشة عاجزة علق جناحاها بين قضبان حديدية.

انقض كونورواي عليها كما ينقض النسر على فريسته. فجأة، أرخى قبضته الفولاذية عن عنقها وأنزل أصابعه إلى عظمة كتفها، القادر على كسرها عند أقل استفزاز.. انحنى رأسها بتعب وانهزام فانسدل شعرها الذهبي الأشعث إلى الأمام فوق يده، ليخفي نيران الإذلال في وجهها.

لكنه لم يترك لها المجال لاسترداد توازنها وأنفاسها إذ أمسك ذقنها بين أبهامه وسبابته ورفعه ليرى مدى انتصاره. لكن ما بدا منعكساً في عينيه الفضيتين هو وجهها المتورد الممتعض فقط.

التوت شفتاه بابتسامة ساخرة: «من منا الأقوى.. آنسة بريسكوت؟»

همست كالفحيح وقد انطلقت ألسنة لهب زرقاء من عينيها:

ـ جسدياً.. أنت!

لكن كونورواي من فولاذ، لا من خشب، والنار المندفعة من عينيها ارتدت دون أن تؤذي هدفها.

اشتدت الأخاديد حول فمه عمقاً.. وحذرها بصوت بارد:

ـ لا تظني أبداً أن الفرق بيننا جسدي فقط.

تركها ثم استوى من جديد إلى مقعده، امتدت يده إلى لوحة

العدادات، تبعها تكتكة لباب السيارة الذي انفتح.

ـ عمت مساء.. آنسة بريسكوت.

عندما ترجلت من السيارة كانت ساقاها ترتجفان، لقد هزها هجومه عليها أكثر مما أدركت، لكنه لم يحطم معنوياتها. فما إن أصبحت بينهما مسافة آمنة حتى استدارت، تمسك الباب المفتوح، وتميل إلى الأسفل وتحدق إليه:

ـ لا تظن أبداً أن الأمر انتهى بيننا عند هذا الحد كونورواي.. سأبذل جهدي ليتم زواج غلوريا وريف في أسرع وقت ممكن!

رمت قفاز التحدي، وصفقت الباب، ثم اتجهت بحدة نحو المبنى.

سارعت خطواتها ظناً منها أنه سيلحق بها. حبست أنفاسها ولم تطلقها حتى سمعت هدير مولد السيارة.. كانت كلمات جريئة تفوهت بها ولكنها عازمة على تحقيقها.

عادت غلوريا في وقت ما بعد منتصف الليل، كانت مارغ في سريرها تتظاهر بالنوم إذ كان فكرها مشغولاً بأفكار انتقامية حاقدة تشك في أن تتمكن من كبحها أمام حديث ليلي حميم، ومن الأفضل ألا تعرف غلوريا بما حدث.. لم تحاول صديقتها من حسن حظها إيقاظها.

حمل معه الصباح فرحة كبيرة ذلك أنها عرفت أن كونورواي مغادر المدينة. نامت مارغ ليلاً نوماً متقطعاً سببه ذكرى عناقه المؤلم، لكن الشمس المرتفعة في كبد السماء أحرقت الإذلال الذي عانته بين يديه.. بدت غلوريا بدورها أكثر استرخاء وأقل تعباً عندما استعدت لمقابلة ريف.

قوست ظهرها، ومددت عضلاتها المتشنجة، فلم تستطع مارغ

www.elromancia.com

إلا التساؤل عما جرى في لقاء ريف وكونورواي ذلك الصباح. كانت متأكدة من أمر واحد قد يرشح عن ذلك اللقاء وهو إصرار كونورواي على موقفه.

رفرفت عينيها متعبة وتفكيرها منصب على المهمة التي بين يديها. لو كانت تركز على ما تفعل، لأنهت البحث الفصلي منذ ساعة.. وبخت نفسها، لتجبر نظرها على التركيز على الورق الملتف على الآلة الكاتبة.

فيما كانت تنزع الورقة الخالية من الأخطاء، انفتح باب ردهة المبنى. فالتفتت مارغ وإذا بها ترى غلوريا تدخل الغرفة.

استقبلت صديقتها بابتسامة وتنهد:

ـ توقيت رائع غلوريا. إنها الصفحة الأخيرة والآلة الكاتبة كلها لك.

ـ لقد أحضرت لك سندويشاً ومرطباً.. ألست جائعة؟

جمعت مارغ أوراقها ووضعتها في ملف، ثم فوق السرير وهي تقول: «أنت منقذتي».

أخذت كيس المشتريات واحتبت فوق السرير.

ـ هل تناولت وريف الغداء بعد مشواركما.

قوبل تعليقها بالصمت فانعقد حاجبا مارغ، وهي تنظر إلى صديقتها.. كانت غلوريا تعلق معطفها الوردي اللون في الخزانة ولكن أفكارها بدت بعيدة جداً.

فرقعت مارغ بأصابعها لتعيد إلى غلوريا انتباهها:

ـ غلوريا؟

ارتدت غلوريا إليها بذهول:

ـ ماذا؟ آسفة.. هل قلت شيئاً؟

وضعت مارغ علبة المرطبات على الطاولة الصغيرة بين السريرين، وأمسكت بالسندويش:

ـ لا شيء هام.. كنت مشغولة الفكر.

ـ صحيح؟

علقت المعطف قبل أن تتوجه بتؤدة إلى سريرها وتجلس عليه، تنظر إلى يديها المتشابكتين في حجرها.. وتمتمت:

ـ كنت أفكر.

مازحتها مارغ:

ـ تخمين صائب.. أما السؤال التالي فهو فيما كنت تفكرين؟

التوت اليدان المتشابكتان بعصبية في حضنها.

ـ تعلمين أن ريف التقى كونورواي هذا الصباح.

ـ أجل..

فتحت الورقة التي تضم السندويش مدعية الاهتمام بما تفعل.

قالت بصوت ساخر: «ماذا قال الرجل الكبير؟».

ـ إن طلب انتقال ريف إلى جامعة هارفرد مقبول. لقد تلقى كونورواي الإشعار الأسبوع الماضي في المزرعة.

كان كونورواي يخبيء ورقة رابحة في جيبه.. كل ما عليه فعله هو الفصل بين ريف وغلوريا في الصيف أما المسافة بين مونتانا والساحل الغربي فتتكفل بالباقي. وعلى ما يبدو أنه يعتمد مبدأ «البعيد عن العين بعيد عن القلب».

أرجعت مارغ رأسها إلى الوراء، فانسدلت الخصلات الذهبية إلى ظهرها:

ـ إذن، عليك وريف أن تحددا موعد الزواج في شهر آب، أليس كذلك؟ إن علاماتك في هذه السنة تخولك الانتقال إلى جامعة أخرى

www.elromancia.com

بسهولة.

تنهدت غلوريا: «لكنني لا أستطيع تحمل مصاريف التعليم خارج الولاية».

أضافت مارغ في نفسها بوحشية: وهذا ما يعرفه كونورواي جيداً.

اشتدت أصابعها على السندويش تسحق الخبز وتتمنى لو كان عنق كونورواي مكانه.

ـ ولن يتمكن ريف من مساعدتك، لأن كونورواي يسيطر على المال، لا يمكنكما السماح له بابتزازكما هكذا!

ـ يقول ريف، إنه لا يعتقد أن علينا القيام بعمل عاجل.

ـ لأنه يعلم أن كونورواي لن يغير رأيه..

عندما ظهرت خطوط الألم حول ثغر غلوريا ندمت مارغ على ردها السلبي. كان عليها ترك بصيص أمل لصديقتها.

سحبت غلوريا نفساً عميقاً.

ـ لقد اقترح كونورواي على ريف هذا الصباح اقتراحاً.

ارتابت مارغ في أي اقتراح يقدمه:

ـ من أي نوع؟

ـ إنه.. اعترف بأنه قد تسرَّع في إبداء حكمه.

ـ هذا أمر عظيم منه.

قضمت سندويشها، فأكملت غلوريا:

ـ اعترف أنه أصدر حكماً مسبقاً عليَّ حتى قبل أن نلتقي وأنه على الأقل يجب أن يعرفني بشكل أفضل. ولكنه ما زال يرفض الخطوبة.

سألت مارغ: «إذن.. ماذا اقترح؟ فترة اختبار؟»

ـ شيء من هذا القبيل. يعمل ريف في المزرعة صيفاً.. وقد دعاني كونورواي لقضاء شهر كامل لتزداد معرفة كل منا بالآخر.

أول ما طرأ على بال مارغ أن هذا الاقتراح كارثة كاملة. إذ تخاف غلوريا ذاك الرجل فإن أمضت بصحبته شهراً فمن يدري ماذا سيحدث. إنها تعرف قدراته، كما تعرف ما قد يفعل من أجل تحقيق مآربه.

حدقت إلى سندويشها، تقول ببطء:

ـ هناك عائق غلوريا.. كيف ستبقين هناك شهراً؟ إن ذلك يعني عدم قدرتك على تأمين قسط الفصل الدراسي القادم.

إن عليهما معاً العمل عند والدي مارغ ذلك الصيف في مطعمهما وفي فندقهما اللذين يملكانهما قرب مدخل «يلوستون بارك»..

أضافت: «سيضطر والدي إلى استخدام شخص غيرك.. ولن تتمكني من الحصول على عمل صيفي بعد قضاء شهر هناك».

ـ عرض عليّ كونورواي أن يعوضني.

وضعت مارغ السندويش النصف مأكول في الكيس لأن طعمه بدا لها فجأة كالقطن..

قالت معترضة بيأس:

ـ آه! لن تفكري في العرض جدياً. تعرفين أن هذا لن ينجح إذ سيحول حياتك إلى جحيم كامل.. تعرفين ما قد يفعله في غياب ريف. هل ستتحملين كل ذلك؟

ـ لن أستطيع تحمل شيء بمفردي.. إنما..

ارتدت عيناها البنيتان المتوسلتان إلى وجه مارغ وأضافت:

ـ لكن.. لو كنت معي..

www.elromancia.com

قاطعتها مارغ بسرعة، بعدما سحبت نفساً عميقاً:

ـ سأبوح لك بسر صغير.. لم يحبني كونورواي ولن يدعوني لقضاء شهر في مزرعته.. ثم عليَّ أن أعمل أنا أيضاً في الصيف.

ـ مارغ.. لقد فكر كونورواي أن من غير اللائق لي أن أقيم في منزله مدة شهر واحد بمفردي معه ومع ريف.. أعني، لديه مدبرة منزل، ولكن.. حسناً.. لقد دعاك أنت أيضاً.. كمرافقة وعرض أن يقدّم لك أنت أيضاً تعويضاً.

ـ أوه.. لا!

هبّت مارغ واقفة وابتعدت عن السرير لتقف قرب النافذة. أضفت أشعة الشمس لمعاناً بلاتينياً ذهبياً على شعرها المتراقص على كتفيها.

هزت رأسها بقوة: «لا».

ـ أرجوك!

في صوتها ألم وتوسل.

ارتدت إليها مارغ: «لن ينجح ذلك غلوريا».

يا إلهي.. إن هذا الرجل شرير! لقد وضع في حسبانه كل ما قد يعترض سبيل غلوريا.

تؤكد دعوته لمارغ مدى قوة غطرسته. لقد تحدته، وها هو يعرض عليها مقعداً أمامياً لتراقب منه كيف سيمزق الخطوبة إرباً أرباً.. لقد أساءت مارغ تقديره مرة أخرى وهي لا تحب الهزيمة.

لكن عيني غلوريا المتألمتين بالعاطفة، لم تريا شيئاً في عيني صديقتها.

ـ يجب أن ترافقيني.

احتجت مارغ بغضب:

ـ ألا ترين؟ لو ذهبت معك لانتهى بي الأمر بفقدان أعصابي فأضع عندئذ المزيد من العقبات أمامك وأمام ريف. إن أفضل قرار تتخذينه هو رفض الدعوة والابتهال إلى الله حتى لا يؤثر في ريف فيفسخ الخطوبة.

ـ لا أستطيع.

التفتت صاحبة الشعر الأسود، والدموع مغرورقة في عينيها البنيتين. عندئذ أرادت مارغ أن تمسك بكتفيها وتهزها لتتعقل.

ـ لماذا لا تستطيعين؟ لا يمكنك الذهاب بمفردك.

أبعدت غلوريا دمعة بيدها، وتركت نظرتها العنيدة تلتقي نظرة مارغ النافدة الصبر:

ـ بلى أستطيع.. أنا أحب ريف ولكنني لا أريد أن أقف بينه وبين أخيه. وبما أنني أفتقر إلى العائلة، أفهم أهمية علاقتهما. إن كان هناك أمل ضئيل في أن يوافق كونورواي على زواجي بريف بعد قضاء شهر في مزرعته، فسأخاطر. ولكنني سأشعر بأنني أفضل حالاً في ما لو كنت معي.. اعلمي أنني سأذهب في كل الأحوال.

تنهدت مارغ: «غلوريا تعقلي. وهناك مسألة والدي اللذين يتوقعان قدومي للعمل عندهما هذا الصيف.. لا أستطيع أن أقول لهما في آخر دقائق إن عليهما البحث عمن يحل مكاني».

ردت غلوريا تذكرها بهدوء:

ـ لكنك قلت إن لديهما طلبات كثيرة للعمل وهذا يعني أن من السهل عليهما إيجاد بديل.

اعترفت مارغ على مضض: «أعتقد أنهما قادران على هذا. ولكنهما لن يوافقا على ما سنفعل.. لدى كونورواي مدبرة منزل فلماذا المرافقة؟»

www.elromancia.com

ـ اتصلي بهما لمعرفة رأيهما.

عندما رأت وجه زميلتها المستسلم والمتوسل في آن، عرفت مارغ أن عليها الاتصال. فأي نوع من الصديقات ستكون لو تركت هذه المخلوقة العاجزة الضعيفة تدخل إلى عرين كونورواي بدون حماية؟

لكن السؤال هو: من سيحمي مارغوت؟

وأملت أن تأتي الحماية من والديها.

لكنهما كانا متفهمين بشكل يثير السخط.

* * *

٤ ـ مخالب امرأة

بلاد السماء الواسعة.. آخر معقل للباحثين عن الأوقات السعيدة.. هكذا صنفت الدراسات مونتانا. كانت المروج الخضراء الواسعة من الشرق تمتد غرباً وكأنها موجة مد بحري تغرق الأرض!

أطلت من فوق الأفق الواسع قمم تطاول السماء الشفافة..

أحست مارغ باستجابة متصاعدة في خفقات قلبها.. إن هذا الجمال الأخضر الحي الذي ارتدى ثوب الصيف باكراً منقطع النظير.

اخضرّت الأرض وتدرجت فيها ألوان متعددة لا حصر لها وتطاولت الأشجار والجبال الصخرية لالتقاط أشعة الشمس، فأصبح المنظر خلاباً يقطع الأنفاس ويوقع في النفس رهبة وإجلالاً للخالق.

تمتمت: «هذا شعوري دائماً».

نظرت غلوريا إليها باستغراب: «ماذا قلت؟»

أدارت نظرها على مضض إلى السيارة:

ـ كنت أبدي إعجابي بالمناظر.. أنا لا أتعب أبداً من تأمل الجبال المتوحشة التي لم تمسها يد الإنسان.

قالت غلوريا: «تشعرني بصغري وبتفاهتي. إنها رائعة ساحرة».

مالت مارغ إلى الأمام لتنظر من وراء صديقتها إلى سائق السيارة:

www.elromancia.com

ـ لقد عشت في مونتانا طوال حياتي إنما في بلدة.. فكيف هو شعور من يقطن الجبال طوال السنة، ريف؟

ـ لا أدري.

التوى رأسها الأشقر إلى الجانب دهشة:

ـ ماذا؟

ـ عندما ولدت، انتقلت أمي للعيش في المدينة.. ولم أكن أقضي إلا الصيف مع أبي في المزرعة.. لذلك، لا فكرة لي عن حال الريف في آخر أيام الخريف وأوائل الشتاء. طالما تساءلت أنا أيضاً كيف يبدو الريف في مثل ذلك الوقت ولكنني لم أمكث فيه يوماً لأعرف الإجابة.

ـ لم أكن أعرف هذا.. فلم تخبرني غلوريا شيئاً عن انفصال أبويك. ظننتهما انفصلا بعدما كبرت.

ارتدت إلى الوراء، تنظر إلى الأمام مفكرة.. من الصعب تصور كونورواي يكبر في مدينة.

سألت: كونورواي أكبر منك وهذا يعني أنه وجد صعوبة في التكيف مع الوضع؟

رد ريف: «لم يحاول قط التكيّف. أخبرتني أمي أنه حالما اكتشف عدم عودتها إلى المزرعة أبداً هرب. كان في التاسعة من عمره وقد عاد إلى المزرعة بالتنقل بسيارات عدة مجاناً. حدث هذا ثلاث أو أربع مرات قبل أن يقترح جدي لأمي تركه في المزرعة مع والدي، وأخيراً وافقت أمي. أذكر أنني سألته عندما كبرت كيف تشجّع وفرّ من هيلينا حيث كانت تسكن أمي إلى المزرعة بمفرده.. فقال إنها الطريقة الوحيدة التي كانت أمامه للعودة إلى البيت. لقد كانت المزرعة بالنسبة له «البيت» دائماً أما بالنسبة لي فكانت مجرد

مكان أقضي فيه إجازة الصيف».

فكرت مارغ في عناد ابن التاسعة الذي قطع مئة وخمسين ميلاً وصولاً إلى ما كان يعتبره بيته.

يبدو أن عناده هذا لم يتغير وهو الآن عازم على منع الزواج بين ريف وغلوريا. لن يترك شيئاً يقف في طريقه، وأما سبب دعوته لمارغ فرغبته في أن تكون الشاهد على ما يحدث. حركت مارغ رأسها قليلاً، تسحب نفساً عميقاً. في هذه السيارة ثلاثة أغبياء وليست متأكدة أياً منهم هو الأكبر. ربما هي، لأن الآخران يعميهما الحب. إن الشهر القادم شهر طويل ومتعب.

ـ كيف كان كونورواي في طفولته؟

على المرء معرفة أكبر عدد ممكن من المعلومات عن عدوه. رد ريف مفكراً:

ـ لا أعرف.. لا ينتبه المرء في طفولته إلى هذه الأمور كثيراً. كان بالنسبة لي دوماً «الأخ الأكبر» يعلمني ركوب الخيل، ويصحبني إلى الصيد والقنص، يتركني أطارد الطريدة بمفردي. كان باختصار: كونورواي.

ارتجفت غلوريا رغماً عنها، فمد يده يغطي يدها الصغيرة.. تمتم بصوت هامس:

ـ لا تبدئي بالقلق.. ما إن يعرفك حتى يرى أي أخت عظيمة ستكون له.

صمتت مارغ فعلى ما يبدو أن ريف لن يخبرها الكثير عن كونورواي الذي يجعل مجرد ذكر اسمه غلوريا ترتبك.. ارتسمت ابتسامة على ثغرها. إنها قلقة من ارتباك غلوريا فيما هي تجلس على أحر من الجمر منذ نصف ساعة.. بدت قمم الجبال أوضح مظهراً

عندما أصبحوا على مقربة من وجهتهم.

خفف ريف من سرعته وانعطف نحو طريق ترابية، تقود قدماً نحو البرية. لم يكن للشق في السياج بوابة إذ دخلت السيارة إلى الأرض المسيجة ثم أوماً نحو الأرض الممتدة حولهم.

ـ هذه هي.. أما المنزل فعلى بعد بضعة أميال.

نظرت مارغ إلى حيث أشار فلم ترَ إلا لوحة تحدد أن الأرض هي أملاك «كونورواي» ولوحة أخرى مدون عليها «ممنوع الدخول».

برقت شمس العصر في عيني مارغ حالما ارتقوا تلة معشوشبة بان منها المنزل. كانت نباتات طويلة تحرس المنزل من أطرافه الثلاثة وتحميه من ريح الشتاء الغضوب. وبدا المنزل المؤلف من طابقين مثالاً للهندسة في مطلع هذا القرن.

قالت غلوريا لتكسر الصمت وسحر الجمود بعدما توقفت السيارة أمام المدخل:

ـ إنه جميل!

قال ريف وهو يفتح بابه: «إنه مجرد كوخ في الجبل».

لم يكن منزلاً كبيراً يليق بعزبة، لكن معالمه الرشيقة تدل على الترف. تحرقت مارغ فضولاً لرؤية الداخل.

عندما خرجت من السيارة، طافت عيناها في مباني المزرعة. لم يكن هناك دليل على وجود نشاط في المزرعة أو البيت. توقعت أن يكون كونورواي باستقبالهم وكانت مستعدة لمواجهة عينيه الرماديتين الساخرتين.

همست غلوريا:

ـ لم أتوقع أن يكون رائعاً هكذا.

نظرت مارغ إلى صديقتها:

ـ أنا أيضاً أتحرق شوقاً لرؤية الداخل.

توجهت إلى مؤخرة السيارة حيث كان ريف يفرغ الحقائب.. فحمل الحقيبتين الثقيلتين، فيما حملت كل منهما الحقائب الأخف وزناً.

كان خشب الردهة الرسمية مصقولاً أما الجدران فكانت عاجية اللون. قاد درج خشبي في نهاية الردهة إلى الطابق العلوي.. إلى اليسار مدفأة من الغرانيت المحلي وفوق المدفأة رأس خروف محنط.

وضع ريف الحقائب أرضاً وقال عابساً:

ـ أتساءل أين هي لوسيا.

اقترب وقع أقدام بطيئة فالتفت رأس مارغ في اتجاهها، تتساءل أي نوع من النساء هي لوسيا.. على المرأة التي تدير منزل كونورواي أن تكون مثال المرأة لترضيه.

فوجئت مارغ كثيراً عندما رأت المرأة الشابة، اللوزية العينين التي ظهرت أمامها. إنها آخر ما توقعته في مدبرة منزل.

كان شعرها كستنائياً طويلاً يتطاير حول كتفيها وعيناها بندقيتي اللون صفراوين كعيني قطة.

تجاهلت الفتاتان، وسارت مباشرة إلى ريف تطبع بشدة قبلة على خده.

ـ أهلاً بك في بيتك ريف.

توقعت مارغ أن تكون المرأة بعمر كونورواي ولكن مواهبها على ما يبدو تتعدى مواهب مدبرة المنزل.

ارتبك ريف ثم نظر إلى غلوريا قبل أن يعيد اهتمامه إلى المرأة

www.elromancia.com

التي ما زالت يدها مستقرة على ذراعه:

- لم أتوقع رؤيتك هنا بيترا.

بيترا؟ إذن هذه ليست مدبرة المنزل؟ ارتفع حاجبا مارغ قليلاً بدهشة متزايدة.. فالمرأة تأخذ دور المضيفة لا الضيفة.

ازدادت ابتسامة المرأة عمقاً:

- لقد عُيّنت لجنة استقبال رسمية لكم. سيغيب كونورواي اضطراراً بعد ظهر اليوم.. أنا آسفة لأنني لم أسمع صوت السيارة، ولكنني كنت في المطبخ أساعد لوسيا في تحضير عشاء الليلة.

وقال ريف بأدب، مع شيء من الحماس: «ستنضمين إلينا بالتأكيد».

- سأفعل.

ارتدت عينا المرأة إلى مارغ:

- أنا بيترا هاريس.. أقرب جارة لكونورواي. لا شك أنك صديقة ريف غلوريا..

أقرب جارة؟ أهذا كل شيء؟ هذا ما فكرت فيه مارغ وهي تصافح اليد الطويلة النحيلة المقدمة إليها.

- لا.. أنا مارغ بريسكوت، صديقة غلوريا.

ضاقت العينان الصفراوان لحظة، ثم التفتتا إلى الفتاة البسيطة الجمال السوداء الشعر قرب مارغ. اشتعلت وجنتا غلوريا بشكل مؤلم بسبب إدراكها لجمال مارغ الواضح، ولمظهرها الذهبي.

أرادت مارغ أن تصيح عالياً رداً على الإدانة الخفيفة في عيني المرأة، فجمال غلوريا هو من الداخل.. ولكنها تشكّ في أن تفهم هذه المخلوقة ذلك.

قهقهت بيترا هاريس بصوت مرتفع لتغطي غلطتها ولكن لم يكن

في ضحكتها تسلية.. فعندما ارتدت العينان الصفراوان إلى مارغ، كان فيهما لمعان غريب. أسرعت مارغ تنظر إلى يدي المرأة متوقعة أن تراهما قد تحولتا إلى مخالب قطة مستعدة لتخدش وجهها.

قالت بيترا بصوت أجش: «أتشرّف بمعرفتك».

كاذبة!

- يجب أن أعرف أنك لا تبدين أبداً مرافقة.

- أنا هنا صديقة لغلوريا.

تركت المرأة يد مارغ والتفتت إلى غلوريا تميل برأسها في اعتذار زائف:

- آسفة للغلطة.

رنت غلوريا بطرف عينها إلى ريف، كأنها تخاف أن يدرك فجأة أنها غير جميلة.. لكن عينيه الدافئتين ردتا على نظرتها المرتابة.

أضافت بيترا: «ستحمدين الله لأن صديقتك موجودة.. فبعد زوال سحر المناظر المحيطة بنا ستشعرين بالسأم لأنك لن تجدي ما تفعلينه».

لم تستطع مارغ أن تمنع نفسها عن التعليق:

- لا تبدين سئمة آنسة هاريس.

- لكنني أعيش هنا.. ولدي أصدقاء من المدينة يقيمون عندي. وقد بدؤوا يتسلقون الجدران، كما يقال، بعد أسبوع.

وجهت ابتسامة باردة نحو مارغ: «اسمي السيدة هاريس».

ردت مارغ بقليل من الدهشة «هل أنت متزوجة؟»

- أرملة.. قُتل زوجي في حادثة صيد منذ أربع سنوات.

قالت مارغ بجفاء: «كانت صدمة لك».

- انشغلت في البداية بالحفاظ على إدارة المزرعة وحتى

www.elromancia.com

ساعدني كونورواي على إيجاد مدير كفؤ، كان أسوأ ما في الصدمة قد مرّ.

اهتزت الكتفان الناعمتان وكأنما بذلك توحي أن الزواج أمر مضى وانتسى.

أضافت: «لدي لأنني مالكة مزرعة ما يكفي من مسؤوليات تشغلني. وبناء على هذا لا أجد وقتاً للسأم».

ضحك ريف الذي لم يدرك الشرارات المتطايرة بين بيترا ومارغ:

ـ ولن تسأم غلوريا.. لأنني سأملأ كل لحظة فراغ عندي لأتأكد من استمتاعها بهذا الشهر.

ضحكت بيترا ملء حنجرتها، تسخر من الشابتين:

ـ يتحدث كعاشق شاب مثالي. ستجدين الحياة هنا بسيطة يا غلوريا.. فليلة في الخارج تعني التنزه على ضوء القمر. وريف معلم صبور.. وربما تصبحين في هذا الشهر ريفية مثلي.

غاير ريف قول بيترا:

ـ لن تكون فتاة ريفية لأننا سنقضي معظم أيام حياتنا في المدن، لذا أريد أن تبقى فتاة مدينية.

كان البريق في عيني غلوريا يقول إنها ستكون ما يريدها ريف أن تكون. في تلك اللحظات الصامتة، نسيت مارغ المرأة الكستنائية الشعر ذات العينين الصفراوين، وتذكرت سبب وجودها في هذا المنزل. مهمتها أن تفعل ما بوسعها للتأكد من أن يعيش ريف وغلوريا «بسعادة إلى الأبد».

قالت بيترا بعذوبة: «فلأرشدكما إلى غرفتكما».

وارتدت نحو الدرج في نهاية الردهة.

ـ أعرف أنكما راغبتان في إفراغ حقائبكما والاستراحة قبل العشاء.

سارت مارغ في المقدمة تلحق المرأة المتهادية فوق سجادة الدرج المزينة بالزهور. بدت بيترا هاريس قانعة بلعب دور المضيفة في هذا المنزل، إنما ليس لفترة الظهر فقط.

وقفت بيترا في أعلى الدرج تنتظر أن تلحقا بها.

ـ لعلكما لن تعترضا على استخدام حمام واحد. ستكون لكما غرفة أما الحمام فسيكون مشتركاً.

هزت مارغ رأسها: «يناسبنا ذلك».

ـ عظيم.

ابتسمت المرأة ابتسامة قصيرة ثم تابعت المسير على الرواق، وفتحت باباً لتدخله.

ـ هذه غرفتك غلوريا.

تقدمت صديقتها بتردد إلى الباب فسدت عن مارغ الرؤية.. وكانت بيترا قد ابتعدت تشير إلى مارغ أن تلحق بها.

ـ ها هي غرفتك مارغ.

انفتح الباب على غرفة يسيطر عليها اللون الأبيض وشيء من اللون الأزرق. غطت سجادة فارسية الأرض بلونها الأزرق والأبيض، كان الأثاث البارع التصميم في الغرفة من الأنتيكات.

برقت عيناها إعجاباً وتقديراً وهي تخطو إلى الغرفة.. كان على السرير المزدوج غطاء أبيض مزيناً يدوياً.

وضعت حقيبتها الصغيرة على الأرض، ثم التفتت إلى المرأة الواقفة بالباب متمتمة: «ما أجملها!»

خنقت نظرة تلك المرأة أية إعجاب قد يبدر عن مارغ إذ قالت

www.elromancia.com

بشراسة أن عليها ألا تغرم بغرفة لن تمكث فيها سوى شهر، ثم بدا أن لون عيني بيترا قد تغير من اللون الكهرماني المحذر إلى الذهبي الأصفر المتحفظ.

قالت وهي تلوّح بيدها نحو باب قرب المدفأة.

ـ من هنا الحمام، وغرفة صديقتك. والعشاء في السابعة.

ـ شكراً لك.

لكن كلمات الشكر توجهت إلى باب مقفل. زمّت شفتيها مفكرة. هناك ما ينبئها بأن عليها ألا تحذر كونورواي فقط بل بيترا أيضاً. هزت رأسها لتخلص تفكيرها من الأفكار البغيضة.. كان الحمام كبيراً وواسعاً، معداته قديمة الطراز لكنها في وضع جيد.. جعلتها تقرع الباب المشترك همهمة بدرت عن غلوريا وريف في الغرفة المجاورة.

رد ريف: «أدخل».

كانت غلوريا المتوردة الوجه تحاول التحرر من دائرة ذراعيه عندما دخلت مارغ. ولكنه لم يتركها تذهب بل استمتع بخجلها.. ابتسمت مارغ وقالت ممازحة:

ـ لقد قرعت الباب.

ـ ريف! أرجوك!

ضحك لها: «آه! حسناً!»

ثم تركها ليحمل حقيبة مارغ الزرقاء الكبيرة.

ـ سأحمل هذه إلى غرفتك.. على فكرة، ما رأيك بذات العينين المتوثبتين مارغ؟

هزت كتفيها: «لم أتصور أن بإمكان المرء أن يكره شخصاً من النظرة الأولى».

ـ وضعت بيترا لنفسها حق المطالبة بكونورواي. لذا لا يعجبها أن تقترب منه إحداهن، خاصة إن كانت مثلك.

ـ تحذيرك واضح الأسباب. إنما عليها ألا تقلق لأنني غير مهتمة بحقها. على الرحب والسعة في أخذ كونورواي.. إنهما زوج متناسب متكامل.

رفع ريف حاجبيه:

ـ أرجوك، يكفيني شؤم أن تكون موجودة هنا الليلة فلا تطرحيها عليَّ زوجة أخ.

قالت غلوريا معترضة: «ريف لا تقل كلمات كهذه».

شعّ الحب وجهه، ونظر إليها مبتسماً ابتسامة حنون:

ـ ولماذا؟ ألأنني أفضل أن تكون المرأة أنثى لا قطة متوحشة؟

ـ اذهب وخذ حقيبة مارغ إلى غرفتها.

رأت مارغ رغم لهجة الأمر التوهج الذي أنار وجه غلوريا لإطراء ريف فبدت جميلة.

غمزها: «أمرك». وخرج من الغرفة.

لاحقته نظرات غلوريا حتى ابتعد ثم عقدت ذراعيها حول صدرها وكأنما تريد بذلك إبعاد برد مفاجيء، أشاحت وجهها عن أنظار مارغ تتنهد قائلة: «حسناً، ها نحن هنا».

طافت العينان البنيتان في الغرفة:

ـ أخبرني ريف عنها، ولكنني ما توقعت أن تكون هكذا. بنى جده هذا المنزل لزوجته.. هل تتصورين مدى صعوبة الأمر في تلك الأيام؟ لقد شحن كل الأثاث إلى «باناك» ثم نقل بالعربات إلى هنا.

تقدمت مارغ إلى السرير المرتفع القوائم، فمررت يدها فوق الغطاء الربيعي الأخضر.

www.elromancia.com

ـ هذا جميل . . الغطاء الذي على سريري مشغول يدوياً كذلك . ومن صنعهما يملك صبراً طويلاً .

صححت لها غلوريا : «بل حب غامر . إنها هذه اللمسات الصغيرة التي تميز هذا المكان . إنه «بيت» لأن شخصاً ما اهتم بالناس المقيمين فيه . . لقد أخذت وقتها لتصنع هذه الأشياء لأنها تهتم ولأنها كانت فخورة بالبيت الذي تعيش فيه . . مارغ . . لا أستطيع الصبر حتى يكون لي بيت . خلقت بعض النساء ليكن عاملات ولكنني لست من هذا النوع . أريد زوجاً وأولاداً ومكاناً أستطيع أن أصنع فيه أعمالاً يدوية كهذه لهم» .

وعدتها مارغ بخفة :

ـ سيكون لك ما تريدين . . أما الآن فمن المفترض أن نفرغ حقائبنا ، أريد أن أستحم وأغير ملابسي قبل العشاء . . قالت بيترا إنه في السابعة .

نظرت غلوريا إلى الساعة الصغيرة في معصمها :

ـ الوقت متأخر أكثر مما ظننت . لدينا الوقت الكافي تقريباً لنستعد .

ـ وهذا على الأرجح أفضل لنا . . فلدي إحساس أن بيترا لا تريد أن نحشر أنوفنا فيما يتعدى هذه الأبواب حتى السابعة .

ابتسمت ابتسامة قلقة ملؤها التسلية .

ـ سأتركك لتفرغي حقيبتك . من ينته أولاً يأخذ الحمام .

ـ اتفقنا .

كانت مارغ الأولى إذ دخلت بكسل إلى المغطس الفاخر العميق . . في غرفتها ، ارتدت روباً حريرياً وتوجهت إلى طاولة الزينة الصغيرة . كانت قد كومت شعرها الذهبي فوق رأسها ، تثبته

في مكانه بملقط . عندما انتزعت الملقط هزت رأسها فتحرر شعرها الذي شرعت تمشطه بأصابعها قبل أن تأخذ الفرشاة عن الطاولة .

أنعشها الحمام ونشَّط جسمها . وقفت قرب الستائر الزرقاء تنظر إلى الخارج ، كانت النافذة تطل على فناء المنزل الخلفي حيث يكمن منظر رائع يكاد يقطع الأنفاس . منظر الجبال المرتفعة فوق الوادي والسهل التابع للمزرعة .

بدأت الشمس رحلتها في المغيب . كانت الجبال المرتفعة تلتقط النار الذهبية التي تحول قممها الصخرية إلى تيجان ملكية . .

فرشت الغابات الخضراء القاتمة سفوح الجبل بغطاء مخملي كثيف . . وأحست أن سحر الجبال يمد يده ليأسرها .

استرعت حركة ظلال أشجار الصنوبر قرب المنزل انتباهها ، فسمحت لعينيها على مضض ترك رهبة القمم المستحمة تحت أشعة الشمس . كانت أبنية المزرعة الخارجية بعيدة عن نظرها قابعة وراء الأشجار التي ترد الرياح ، ومن ذلك الاتجاه جاء طيف طويل ، خرج من بين الظلال إلى النور . كانت خطوات طويلة تحمل كونورواي إلى فناء المنزل الخلفي .

إنه يرتدي كما شاهدته أول مرة ، جينز باهت الألوان وقميصاً أبيض مغبراً يبرز بوضوح عضلاته المفتولة وينتعل حذاء رعاة بقر . كان أحد قفازيه منزوعاً والآخر يُشدّ حتى ينتزع أيضاً ، فجأة توقفت الخطوات المتوثبة ثم ارتفع الرأس الأسود وألقى نظرة على النافذة حيث تقف مارغ .

ارتدت إلى الوراء مذعورة ثم أدركت أنه لن يستطيع رؤيتها من هذه الزاوية والمسافة . طوى قفازه ووضعه في اليد الأخرى مع رفيقه ، ولكن فمه التوى بابتسامة ظلت مرتسمة على وجهه وهو ينظر

إلى النافذة.

خضب اللون الوردي وجنتيها. بالتأكيد لن يراها من هذه المسافة ولكن الستائر مرفوعة جانباً. وهذا منزله وهو يعرف بدون شك أية غرفة خصصت لمارغ.

تركت الستارة بسرعة فشاهدت ابتسامته الساخرة تزداد عمقاً. وبعد قليل عادت خطواته إلى المسير نحو المنزل مجدداً فيما القفازان الجلديان يضربان جانب ساقه برضى.

ابتعدت مارغ متوترة. كان عليها أن ترد عليه نظرته.. ترفض أن يظهر تفوقه عليها في لقائهما الأول هنا. قررت ألا تتراجع مرة أخرى.

ـ ماذا سترتدين مارغ؟

كانت غلوريا واقفة بباب الحمام تركز على خلع روبها، لذلك لم ترَ نظرة الغضب على وجه صديقتها.

ردت مارغ وهي تسحب نفساً عميقاً لتطرد كل أثر للغضب:

ـ الـ.. الفستان «الكريب» الأحمر إنه صيفي رائع ولكنه لا يدل على المبالغة في الأناقة.

ـ فكرت أن أرتدي الفستان الأصفر المزين بالزهور.. ما رأيك؟

ـ سيكون رائعاً.

كانت ابتسامتها مشدودة لكن غلوريا لم تلحظ هذا، بل أعلنت وهي تعود إلى غرفتها:

ـ سأذهب لأرتدي ملابسي.. تعالي إلى غرفتي متى جهزت.

سارت مارغ إلى المرآة المؤطرة بخشب الجوز فوق طاولة الزينة.. حققت بضع لمسات من الفرشاة لشعرها تسريحة شعثاء

لغيمة ملتفة، فابتعدت الخصلات المبعثرة عن وجهها في موجات براقة من الكهرمان المغبر.. لم تكن بحاجة إلى ماكياج، فقد أمن لها مرطب توهجاً لطيفاً.. أما ظلال العيون فأضفت المزيد من اللون الأزرق إلى لون عينيها الزرقاوين.

سخر منها انعكاس صورتها بخبث: أتضعين طلاء الحرب؟

أجابت نفسها مبتسمة «أجل» والتقطت الماسكرا.

في السادسة والنصف، كانت جاهزة، تساعد غلوريا في إقفال سحاب فستانها العنيد.

سألتها غلوريا:

ـ أتظنين أن علينا النزول الآن؟ لم تبلغ الساعة السابعة.

ـ لا أرى ما يحول دون ذلك، فهذا يساعدنا على إلقاء نظرة على المنزل قبل العشاء.

ترددت غلوريا بعدما تقدمت مارغ إلى الباب:

ـ هل أبدو على ما يرام؟

ابتسمت مارغ برد مرح لتخفف من توتر صديقتها:

ـ كزهرة الجبل. تعالي!

كانتا فوق الدرجة الثالثة عندما سمعت مارغ خطوات تقترب منهما، تشنجت عضلاتها آلياً ظناً منها أنه كونورواي ولكنها لم تسمعه يمر بغرفتها، فهل السبب خفته في السير.

رغبت في التظاهر بأنها لم تسمع خطوات الرجل. وكان بإمكانها تجاهله لولا غلوريا التي ألقت نظرة إلى الوراء من فوق كتفها. عندئذ لم يعد لديها خيار إلا أن تحذو حذوها.

لم تواجه العينين الفضيتين الرماديتين.. بل رأت دفء نظرة ريف التي ألقاها على غلوريا التي توقفت.. سرت رعشة في

www.elromancia.com

أوصالها. ولم يكن هذا رد فعل مرحب به لأنها تريد أن تكون أهدأ حالاً عندما تلتقي كونورواي وجهاً لوجه.

امتدت يدا ريف إلى غلوريا: «تبدين جميلة يا حبيبتي».

نظرت بجذل إلى عينيه: «أترى ذلك؟»

طرد بريق الحب عنها كل بشاعة فبدت جميلة كما يقول ريف.. شعرت مارغ أن لا داعي إلى تواجدها معهما فقالت: «أراكما في الأسفل».

ظاهرياً كان وجودها في هذا المنزل من أجل مرافقة غلوريا غير أنها ترفض أن تصبح ظلاً لصديقتها.. ومن حق غلوريا وريف الاختلاء بين فترة وأخرى..

عندما وصلت إلى الأسفل ترددت مارغ، ثم لمحت مائدة مفروشة بالأبيض عبر باب مفتوح. فقدّرت أنها غرفة الطعام وكان أن توجهت إليها.

كان الباب التالي باب غرفة الجلوس.. نظرت إليه بفضول لتتعرف إلى الغرفة معتقدة أنها ستجد مضيفتها في غرفة الطعام.

كانت المائدة البيضاوية جاهزة، عليها آنية خزفية مزخرفة وكريستال لماع وكانت ثريا ضخمة تتدلى من وسط سقف وتنير المائدة. لم يكن في الغرفة أحد ولم ترغب مارغ في انتظار الآخرين هناك.

ارتدت على عقبيها وقفلت عائدة إلى غرفة الجلوس وهناك انجذبت نظراتها إلى لوحة معلقة فوق رف مدفأة رخامية، كانت لوحة لامرأة.. امرأة جميلة رائعة ذات شعر نحاسي أحمر، وعينين لوزيتين. كانت الشفتان الخوخيتان مقوستين بابتسامة مقطوعة الأنفاس تعانق الحياة.. مع ذلك، ورغم كل الحيوية المتدفقة من

هذا الوجه الجميل كان هناك جو من الضعف والبراءة.

قال صوت ساخر: «هذه أمي».

ارتدت مارغ عن اللوحة لتنظر إلى زاوية الغرفة حيث جاء صوت كونورواي.. كانت عيناه الرماديتان تسخران من النظرة القلقة في تعابير وجهها وهو ينهض من كرسي مجنح الظهر.

لقد استبدل الجينز الأغبر بسروال مفصل يدوياً. وكان القميص الحريري ناصع البياض فيه خطوط خضراء وصفراء، يحتضن منكبيه العريضين ويضيق عند الخصر النحيل.

وصل اهتمامها السريع بثيابه صداه إليه إذ بادلها التحديق بتحديق آخر. تأمل قماش فستانها الواسع قليلاً، الكاشف عن حناياها الممتلئة بدون أن يكون وقح الإيحاء، كانت نظرته تحدجها من رأسها إلى أخمص قدميها. أحست مارغ بحرارة خائنة تكتسح وجهها ولكنها رفضت أن تشيح نظرها.

ـ سمعت عن أفيال وردية اللون ولكني لم أسمع عن فراشات وردية آنسة بريسكوت؟

التوى ثغره بتسلية ساخرة فلامست لا إرادياً قماش فستانها الوردي.

أضاف: «أتحبين تناول مرطب؟»

ردت بحدة: «لا».

لكنها ندمت على حدتها فأضافت بسرعة:

ـ شكراً لك على أي حال.

لن تستفيد أبداً إن فقدت أعصابها منذ البداية.

ـ يجب أن أعتذر عن عدم وجودي هنا لأستقبلك والآنسة وارندر.. أتمنى ألا تكوني قد انتظرت طويلاً قدومي قرب النافذة.

ردت ببرود: «لم أكن أنتظرك بل كنت أستمتع بمنظر الجبال من نافذتي».

ومض الرضى في عينيه.. لقد تعمد خداعها لتعترف أنها رأته وها هي قد التقطت الطعم بكل غباء.. ارتدّت عنه غاضبة من نفسها لأنها لم تستعدّ بشكل أفضل لهذا اللقاء.

ظهرت امرأة في الباب، ترتدي فستاناً أزرق اللون وميدعة زرقاء مربوطة حول جسمها الضخم. كان شعرها قصيراً أسود دبَّ فيه الشيب، ولكن لم يكن يشوب عينيها السوداوين شيء. وجهها قوي البنية. انتقلت نظرات المرأة من مارغ إلى كونورواي. إن هذه المرأة بدون شك مدبرة المنزل.

قالت المرأة، وهي تدخل إلى الغرفة:

ـ حملتني السيدة هاريس هذه الصينية المليئة بالجوز والزيتون. قالت إنكم ستتناولون المرطبات هنا قبل العشاء.

أكد كونورواي ظن مارغ:

ـ آنسة بريسكوت، هذه مدبرة منزلي لوسيا آروز إنها ذات دم هندي فهي من قبيلة «كراو» جدها زعيم حرب هندي.. هذه مارغوت بريسكوت، صديقة السيدة الشابة التي ترافق ريف.

جاءت ابتسامة مارغ طبيعية، تدفعها إليها نظرة المرأة اللطيفة.

ـ تشرفت بمعرفتك.

جعدت ابتسامة عيني المرأة السوداوين الدالتين على الذكاء.

ـ أتمنى أن تستمتعي بإقامتك هنا، آنسة بريسكوت.. رغم أصلي فأنا نادراً ما أسلك درب الحرب! بعد قضاء ثلاثين سنة في هذا البيت، بات من الصعب استفزازي.

كانت كلمات الترحيب صادقة وهي أصدق ما سمعته هنا مارغ.

نظرت بسرعة إلى كونورواي فرأت تعابير وجهه.. من الواضح أن لوسيا غضت الطرف عن ملاحظته الساخرة، وقدمت كلمات تضم بين جنبيها نصيحة خفية.

سألت مارغ: «هل لي أن أساعدك بالمطبخ؟»

رفضت المرأة والابتسامة لا تفارق وجهها الضحوك:

ـ كل شيء جاهز تقريباً.. ثم يقال: إذا كثر الطباخون..

وصمتت تاركة انطباعاً بأنها تعتبر وجود بيترا هاريس طباخة زائدة عن اللزوم.. حملت الفكرة ابتسامة اضطرت إلى إخفائها حالما دخلت المرأة الكستنائية الشعر إلى الغرفة، ترمي ابتسامة تثير الذهول نحو كونورواي.. فتمتمت مدبرة المنزل وهي تنسحب:

ـ من الأفضل أن أعود إلى المطبخ.

لم تكن عينا بيترا هاريس دافئتين البتة عندما نظرتا إلى مارغ.

ـ هل مر وقت طويل على وجودك هنا آنسة بريسكوت؟ أخشى أنني كنت مشغولة في المطبخ.

ـ منذ دقائق فقط.

أعجبت مارغ بالفستان الذهبي، الذي احتضن بإغراء حنايا جسدها. كانت عينا كونورواي تراقبانها من فوق حافة كأسه المرفوعة إلى فمه.. إنه على الأرجح يعرف أن خليلته النمرة لم تحب الفراشة الوردية، وتنتظر فرصة لتنشب مخالبها في أجنحتها الهشة.

عندما توجهت عيناه إلى الباب، لحقت عينا مارغ بهما فرأت ريف يرافق غلوريا المحمرة الوجه إلى الغرفة.

* * *

www.elromancia.com

٥ ـ معركة تحت القمر

كانت مارغ عدداً مفرداً بين الموجودين، فهناك ريف وغلوريا وكونورواي وبيترا التي سيطرت على الحديث بسرد فكاهات لأحداث مرت في المزرعة.

كانت تسرد قصصاً تشمل إما كونورواي أو ريف موحية بمكر إلى قربها منهما ومذكرة بصمت مارغ خاصة وغلوريا عامة بأنهما دخيلتان..

ولكن عزلة مارغ لم تنته في غرفة الطعام. كان عليها أن تعرف أن بيترا لا تستطيع إبعادها عن المجموعة لولا موافقة كونورواي.. في غرفة الجلوس قامت بيترا بدور المضيفة بشكل طبيعي فجلست على الأريكة أمام طاولة تقديم القهوة الفضية، حيث انضم إليها كونورواي.

جلس ريف وغلوريا على الكرسيين المقابلين للأريكة وهذا ما ترك مارغ أمام خيارين فقط، أحدهما مستحيل لأنه يعني الجلوس قرب كونورواي على الأريكة، وثانيهما الجلوس على الكرسي الذي يجعلها خارج حلقتهم.

حافظت مارغ التي كانت تغلي غضباً على جو الهدوء ورباطة الجأش.. لن تحاول التدخل في الحديث أو جذب الاهتمام إلى نفسها بأية طريقة.. فقد يكون هذا ما يتوقعه كونورواي منها.

أحست بالرضى لاكتشافها أن غلوريا غير مبعدة عن الحلقة فقد راحت بيترا تطرح سلسلة من الأسئلة المهذبة عن طفولتها، وكليتها، ودراستها. وكانت ردود غلوريا مهذبة كدأبها مع الغرباء ولكنها كانت تجيب بدون تردد. وهذا ما هلل له قلب مارغ بصمت ذلك أنها تعرف مدى الشجاعة المطلوبة لهذا من صديقتها الخجول.

قالت بيترا: «ريف.. يجب أن تصحب غلوريا لرؤية بحيرة القندس».

نظرت إلى غلوريا ثم أضافت:

ـ ليست بعيدة عن المنزل. إنه مشوار لطيف سيراً على الأقدام.. هي بحيرة رائعة للسباحة، ولكن المياه باردة قليلاً لأنها قادمة من الجبال.. والبحيرة خير مكان تقضين فيه أوقاتك في غيبة ريف، أتعرفين السباحة؟

ردت غلوريا بارتباك:

ـ في الواقع.. لا أعرف.. لم تتح لي يوماً فرصة تعلم السباحة.

ـ وماذا عن ركوب الخيل؟ أنا واثقة أن كونورواي سيجد لك فرساً لطيفة مناسبة. هل تجيدين الفروسية؟

امتدت يد غلوريا المرتبكة إلى خصلة شعر سوداء ثم التفتت إلى ريف:

ـ ركبت الخيل بضع مرات لكنني غير ماهرة في ذلك.

ابتسمت بيترا ابتسامة لم تعرف مارغ ما إذا كانت بدافع الرضى أو التفهم المؤدب.. كان كونورواي مستنداً إلى ظهر الأريكة، مكتفياً على ما يبدو بالسماح لبيترا بالقيام بالاقتراحات المتعلقة بالنشاطات اليومية في ساعات النهار. أضافت بيترا التي لم تهتم

www.elromancia.com

بافتقار غلوريا إلى الحماس بالنسبة لموضوع الخيل.

ـ على أية حال.. أعرف أنه سيأتي وقت ترغبين فيه في الابتعاد عن المزرعة وأنا أريد أن تشعري بحرية في المجيء إلى منزلي متى شئت فهناك أنشأت ملعب تنس والتنس رياضة أهواها كثيراً. أنت على الرحب والسعة في منزلي.

تسلل لون وردي إلى خدي غلوريا التي غضت طرفها لتنظر إلى الفنجان:

ـ إنه للطف عرضك هذا. لكنني لا أعرف لعبة التنس.. أنا لا أميل إلى الرياضة.

انفرجت شفتا مارغ قليلاً بعدما هبطت عليها الحقيقة المرة. كيف لها أن تكون عمياء إلى هذا الحد؟ لم يكن كونورواي مهتماً بفصلها عن المجموعة لتشعر بأنها شخص غير مرحب به.. بل أرادها بعيداً عن غلوريا حتى يشير بخبث إلى ريف أنهما شخصان متغايرا الطباع والميول كلياً.

صاحت بيترا بعجب، مع ضحكة مبتورة:

ـ يا إلهي غلوريا! لا تعرفين السباحة والتنس، ولا تحبين ركوب الخيل.. ماذا ستفعلين منا مدة شهر؟ ستصابين بالجنون إن أمضيت أيامك جالسة في المنزل بمفردك!

ـ لقد نسيت أن غلوريا ليست بمفردها هنا.

اصطك الفنجان فوق صحنه بصوت مرتفع عندما وضعته مارغ على الطاولة الصغيرة قرب كرسيها.. تصادمت عيناها بعيني كونورواي الرماديتين المعدنيتين، لتُعلمه بأنها عرفت ما الهدف من وراء تصرفه.

أضافت: «واثقة أننا سنجد ما نشغل أوقاتنا به».

قال ريف، وقد حل محل التعبير المرتبك ابتسامة مشعة:

ـ وأنا أكثر من مستعد لتسلية غلوريا في المساء، غداً صباحاً سأصحبك لرؤية المزرعة لئلا تضيعي إذا خرجت في نزهة.. وسأطلب من لوسيا تحضير سلة طعام لنقوم بنزهة بعد الظهر إلى بحيرة القندس.

تمتمت غلوريا التي استردت بسمتها: «سأحب ذلك».

مال كونورواي إلى الأمام يأخذ سيكارة من العلبة على الطاولة.. ثم قال بهدوء:

ـ أخشى أن ذلك غير ممكن فأنا بحاجة إلى يد عاملة هذه الأيام، لذا لن أتمكن من السماح لك ببضعة أيام راحة. يجب أن تستيقظ مستعداً للعمل في الصباح الباكر.

غضت تقطيبة وجه ريف الفتيّ:

ـ ماذا؟ لماذا تفتقر إلى يد عاملة؟ من هو الغائب؟

ـ جيم سلايد.. طردته في الأسبوع المنصرم لأنه نام أثناء الدوام.

اسودت عينا ريف اللوزيتان بريبة:

ـ هذا ما يفعله جيم منذ سنوات. لماذا طردته فجأة بعدما تغاضيت عنه طوال هذه المدة؟

ـ كاد نومه يسبب حريقاً في مخزن الغلال وقد طردته لأنني غير مستعد إلى تكرار ما حدث.

تحدت العينان الرماديتان الثابتتان ريف الذي لم يرد إلا بإظهار سخطه. بعد ذلك نظر إلى غلوريا:

ـ آسف حبيبتي، أظن هذا ينهي ذاك.

توقفت يدها عن إدارة خصلة شعرها بعصبية، وقالت تطمئنه:

www.elromancia.com

- لا بأس.. سنقوم بهذا في يوم آخر.

نظرت بيترا إلى الساعة الرقيقة الذهبية في يدها:

- على ذكر يوم آخر. ليس الوقت ببعيد عن الغد.. وعليّ أن أقود سيارتي إلى المنزل. سأحضر ثيابي وأغراضي من غرفة النوم.

أية غرفة نوم ولمن؟ تساءلت مارغ بخبث حاقد فيما كانت المرأة تنهض. تلاقت عيناها صدفة بعيني كونورواي.. كان شيئاً من كراهيتها لبيترا ظاهراً على تعابير وجهها، فابتسم ابتسامة ملؤها التسلية.

كسر ريف عن غير قصد نظرات التحدي المتبادلة بينهما، بسؤاله عن جدول أعمال الغد. ظلّ النقاش بين الرجلين محصوراً في عمل المزرعة حتى عادت بيترا التي وقفت بالباب.. طافت ابتسامتها الماكرة بالجميع وتوقفت أخيراً على غلوريا:

- عمتم مساء جميعاً.. غلوريا اتصلي بي أو تعالي لزيارتي إن شعرت بالوحدة. تسعدني زيارتك.. وأنت أيضاً آنسة بريسكوت.

أضافت كلماتها تلك على مضض. أجابت مارغ على مضض أيضاً:

- كنت لطيفة بقيامك باستقبالنا سيدة هاريس.

ضاقت نظرة بيترا لحظة:

- أسعدني ذلك. هلاّ رافقتني إلى السيارة كونورواي؟

لم يرد ولكنه وقف.. غادر التوتر الخانق الذي استولى على مارغ نفسها بمغادرة كونورواي. لم تكن قد لاحظت مدى تشنج أعصابها حتى ابتعد.

ولكنها عرفت أن ريف وغلوريا لن يعترضا إن تركتهما بمفردهما.. بل الواقع أنهما سيرحبان بذلك، فقالت وهي لا تنتظر

رداً:

- سأتناول القهوة في المطبخ.

كان المطبخ كبيراً واسعاً، فيه مائدة قديمة مخصصة للفطور وكراسي من طراز «وندسور» الخشبية، يحافظ رغم حداثة أدواته على سحره القديم الطراز، كحال سائر أرجاء المنزل.

رفضت لوسيا آروز عرض مارغ بتقديم يد المساعدة وأصرت على أن ما تبقى من عمل لا يحتاج إلى أربع أيد. لكن مارغ ظلت معها عدة دقائق تحادثها.

ما إن تركت المطبخ حتى عرفت مارغ أن المدبرة تأخذ دور الأم.. إنها امرأة دافئة، عاطفية لذا أحبتها مارغ.. أملت أن يكون هذا الشعور مشتركاً.

عندما اقتربت من نهاية الدرج في ردهة الدخول، انفتح الباب الأمامي الذي دخل منه كونورواي.. فتوترت أطراف أعصابها وبعد تردد بسيط في خطواتها سارت قدماً إلى الأمام ونظرتها تطوف ببرودة على قسماته المتحفظة:

اتخذت قراراً كان وليد لحظة. ارتدت على عقبيها تريد العودة إلى غرفتها ولكنها شعرت بالخطوات الرشيقة تحمل كونورواي إليها.

- هل ستخلدين إلى الراحة باكراً؟

توقفت مارغ على الدرجة الأولى ولكنها لم تستدر:

- كان يوماً طويلاً مرهقاً.

أضافت بصمت أن الشهر سيكون طويلاً ومرهِقاً أيضاً، خاصة إن كانت هذه الليلة مثالاً لما هو قادم.

- هل من خطب آنسة بريسكوت؟

www.elromancia.com

كانت السخرية من جديد هي المسيطرة على صوته، دنا من الدرج ووقف قرب الحاجز بحيث أصبح قبالتها تماماً.

هزت كتفيها: «لا أبدأ».

أطلقت نظرتها شرارات زرقاء حالما اصطدمت بقسوة اللون الرمادي في عينيه.. وجهت عن قصد اهتمامها إلى شفتيه فرأت فيهما أثر أحمر الشفاه الخفيف..

أضافت ساخرة: «كان عليك الاقتراح على السيدة هاريس محو أحمر شفاهها.. يبدو أنه لن يزول بسرعة».

ازدادت خطوط فمه عمقاً، ولم يتحرك ليمسح أثر أحمر الشفاه.

ـ لم تكن الأمسية بالنسبة لك ممتعة، أليس كذلك؟ أنت معتادة على أن يُحدِق بك المعجبون لذا طعم المرارة حاد دائماً، ربما بعد شهر تعتادين على هذا الطعم.

كانت لحظة من تلك اللحظات الرهيبة التي تفقد مارغ فيها القدرة على الكلام. ربما بعد ساعة تجد رداً مناسباً أما الآن فهي عاجزة. لم تستطع بسبب غضبها إبعاد الارتعاش عن صوتها.

ـ أرجوك، أبلغ غلوريا أنني متعبة.

أحنى رأسه بأدب وتسلط، والبسمة الساخرة تضحك على عذرها: بالتأكيد.

ارتجفت ساقاها ولكنهما حملتاها بسرعة إلى غرفتها. ومع أنها لم تكن متعبة، ارتدت ثوب النوم وصعدت إلى السرير.

في وقت لاحق سمعت غلوريا وريف يتبادلان تحية المساء في الرواق قبل أن يُقفل بابا غرفتيهما.. ظلت مستلقية فترة طويلة قبل أن تغفو.. ولكنها لم تسمع كونورواي يصعد إلى غرفته.

بعد أسبوع اتخذت الحياة في المزرعة نمطاً محدداً. كانت ساعات النهار هي المحببة إلى مارغ إذ تقضيها وغلوريا في التنزه والاستكشاف. اكتشفتا بحيرة القندس، وأماكن أخرى ولكنهما ما ابتعدتا كثيراً يوماً عن مباني المزرعة. وبعد الظهر كانتا تسترخيان تحت أشعة الشمس أو تساعدان لوسيا إن سمحت لهما بذلك.

كما توقعت مارغ، تابعت بيترا زياراتها..

كان السبب الرئيسي لاستمتاع مارغ هو ابتعاد كونورواي عن المنزل منذ الصباح وحتى المساء.

كانت الأمسيات والحمد لله قصيرة. فما إن يستحم كونورواي وريف من غبار النهار حتى يُمدّ الطعام، ويؤكل ثم ما يلبث أن يحين موعد النوم. لم تكن تقضي برفقة كونورواي إلا وقتاً قصيراً ولكنها كانت تجده وقتاً طويلاً، إذ دأب على مهاجمتها بكلمات ونظرات ماكرة تدفع الغضب إلى عروقها. وكان يتجاهل غلوريا كل التجاهل، ويتعمد ترهيبها ليجعلها تتصرف بطريقة خرقاء.

كان الغرض الأساسي من الزيارة هو أن يتعرف كونورواي إلى غلوريا ولكنه للأسف أبدى عدم اكتراث مطلق بها وهذا ما أزعج مارغ التي وجدت نفسها عاجزة عن القيام بشيء فلن تستطيع أبداً الإشارة إلى فضائل وحسنات صديقتها وكأنها عبدة تباع في سوق النخاسة.

وقفت أمام النافذة تنظر إلى الجو الملبد بالغيوم التي أخفت قمم الجبال وحجبت الشمس. تحولت القطرات الكبيرة التي كانت ترتد عن النوافذ، وأصبحت مطراً منهمراً.. وتبع سياط البرق قصف الرعد.

كان ريف قد أسرع في العودة إلى المنزل قبل نصف ساعة غارقاً

www.elromancia.com

بالماء وكانت مارغ جالسة على الأريكة في غرفة الجلوس تحدق إلى اللوحة الموضوعة فوق المدفأة، تتساءل كيف لهذه المرأة الجميلة أن تكون أماً لولدين مختلفين كل الاختلاف.

دخل ريف إلى غرفة الجلوس: «مرحباً.. أين غلوريا؟»

ما زال شعره الأسود رطباً، كان الشبه بين الأخوين قوياً، ولكنه اختفى حالما التقت عيناه الودودتان عيني مارغ.

ـ في المطبخ تصنع بعض الشوكولا الساخن.

تنهد: «ستكون هذه الفتاة زوجة رائعة لرجل محظوظ».

جلس على كرسي قبالة الأريكة. ومضت صاعقة على مسافة قريبة فابتسم ابتسامة رضى:

ـ مطر مطر مطر! بدأت أعتقد أنني لن أحظى بظهيرة مريحة.. ماذا فعلت في هذا اليوم الممطر الجميل مارغ؟

اتجهت عيناها نحو اللوحة، لتجيب:

ـ أقرأ.

ولكن الكتاب كان مرمياً على الوسادة قربها منذ وقت. ثم نظرت إلى ريف عابسة:

ـ هل لي أن أطرح سؤالاً فيه بعض التطفل؟

ـ اطرحيه وسأقرر ما إذا كنت أريد الرد عليه أم لا.

ـ ما زالت صورة أمك معلقة فوق المدفأة. كنت أتساءل عن السبب.

أمالت رأسها جانباً، ترقب ابتسامة ريف المازحة تختفي، وهو يلتفت ناحية اللوحة وفي عينيه حب صادق.

ـ كانت هي وأبوك منفصلين مدة ثمانية عشر عاماً؟

ـ لم يكن انفصالاً.

استند إلى الوراء في كرسيه، ثم التفت واستدار إلى مارغ مفكراً:

ـ كانا يعيشان منفصلين. كنت أعيش مع أمي عند أبيها مدة تسعة أشهر ثم نعود إلى هنا صيفاً.

ـ كل سنة؟

ـ كل سنة، كنت أستيقظ ذات صباح في هيلينا، لأسمع أمي تقول إننا ذاهبان إلى المزرعة.. لم تكن تتصل مسبقاً لتخبره بقدومنا.. لكنني لا أذكر أن أبي يوماً امتنع عن استقبالنا. يصعب عليّ أن أشرح حبهما العميق. كان لهما في كل صيف شهر عسل حقيقي. كنت أراهما يضحكان، ويتحدثان همساً، وكنت أرى أبي يسرق منها قبلة بين الحين والآخر. لا أستطيع تعداد الأوقات التي رأيتهما فيها يتبادلان نظرات الحب. ولكن ما إن يمر شهر آب، تقول أمي إننا عائدان إلى جدي.

أعمى الارتباك عيني مارغ:

ـ لكن، لماذا؟ أعني.. إن كانا متحابين فلم انفصالهما؟

سحب نفساً عميقاً، ونظر إلى اللوحة:

ـ لم تكن أمي تتحمل عزلة المزرعة. كانت بحاجة إلى الناس حولها. إنها امرأة اجتماعية تحب دوماً رؤية وجوه جديدة. لقد اعتقدت أنها ستتأقلم مع الوقت ولكنها أخيراً وجدت ذلك مستحيلاً.

قالت مارغ بذهول:

ـ إنها لمعجزة أن يظلا متحابين طوال هذه السنوات.

أكمل ريف: «كان أبي يزور هيلينا سنوياً في عيد الميلاد حيث يقضي فيها بضعة أيام. وكان كونورواي يرافقه حتى أصبح في

www.alromancia.com

السادسة عشرة من عمره. . سألتني عندما كنا قادمين إلى المزرعة عن كونورواي الذي اعتقد أن أمه هجرته وهجرت أباه، مع أنه يعرف أنها أرادته أن يعيش معها. . لم يبح لي قطّ بما يفكر ولكنه كان يسيء الظن بأمي معتقداً أنها تقيم علاقات مع رجال آخرين ولكن لم يحصل ذلك يوماً فأمور كهذه يصعب إخفاؤها مدة ثمانية عشرة عاماً عن ابنها الذي عاش معها طوال الوقت. . كان أبي الرجل الوحيد في حياتها. إنه حب نادر ومميز».

نظرت مارغ مجدداً إلى الصورة: «كان مميزاً فعلاً».

ـ أتعرفين ما كان يسميها أبي؟ فراشته.

تجمد كل شيء في مارغ. . البرد الذي أوقف دقات قلبها أوقف معه أنفاسها. سرى شيء من الشلل في أطرافها. . إن طفولة كونورواي هي المسؤولة عن كراهيته المريرة وعن احتقاره لها. إنها بالنسبة له: فراشة أخرى!

جاء صوت غلوريا السعيد من الباب:

ـ ها أنت ريف. . حضّرت لك بعض الشوكولا. . ظننتك ستحتاجه بعد هذا المطر الذي أغرقك.

غمز ريف لها: «ذكريني بأن أتزوجك».

أمسك بيدها وهي تضع الكوب على الطاولة الجوزية الخشب. . فضحكت مقطوعة الأنفاس: «سأذكرك».

قصف الرعد، فرجَّ الجدران.

ـ ريف!

جعل صوت كونورواي الآمر مارغ تكاد تقفز، لا شك أن الرعد أخفى صرير الباب الأمامي. كان واقفاً بباب غرفة الجلوس، ثيابه جافة تقريباً. وأكمل بجفاء:

ـ لا يعني هطول المطر أبداً انتهاء العمل.

أشاحت مارغ وجهها عن هاتين العينين مع أن حواسها تجاوبت بعمق مع وجوده.

قال ريف متذمراً: «لقد غيرت ملابسي المبللة».

ـ لو حملت معك معطفك الواقي من المطر لما تبللت. تعال. . من الأفضل أن نسنّ شفرات جزازة العشب.

تنهد ريف: «ها قد خسرت راحة بعد الظهر».

نهض عن كرسيه معتذر لغلوريا بابتسامة:

ـ شكراً للكاكاو حبيبتي. . ولكنني أخشى أن تشربيه أنت.

ما إن أقفل الباب الأمامي خلف الرجلين حتى انطلقت تنهيدة استسلام طويلة من شفتي غلوريا.

ـ اشربيه أنت مارغ فأنا لا أريده.

وضعت الكوب أمام الأريكة ولكن مارغ صاحت بها وقد لاحظت نظرة اليأس على وجهها:

ـ هاي! ليست هذه نهاية العالم. . ريف عائد.

دست غلوريا يديها في جيبي سروالها وتوجهت نحو النافذة متمتمة:

ـ وقت العشاء.

ـ تعرفين أن عليه أن يعمل.

ـ أعرف.

قالت مارغ:

ـ لا تسمحي للطقس بأن يبعث إلى قلبك الإحباط. لماذا لا توقدين المدفأة فذلك سيطرد الكآبة عنك؟

التفتت غلوريا إليها:

ـ ليس الأمر كما تتصورين . . ألم تلاحظي؟

ـ ألاحظ ماذا؟

ـ مر على وجودنا هنا سبعة أيام، لم أستطع خلالها الانفراد بريف ولو لساعة واحدة. إنه يعمل من الفجر حتى المغرب . . وفي الليل يتواجد أخاه دائماً هنا.

قالت مارغ بلطف: «وأنا أيضاً».

أدركت فجأة أنها في خضم لهفتها إلى إبعاد نفسها عن كونورواي نسيت أن غلوريا تريد الإنفراد بريف . . والواقع أنه أحد أهم أسباب مجيئها إلى هنا.

أكدت لها غلوريا بسرعة:

ـ لا ألومك.

ـ أعرف أنك لا تلومينني . . ولكن ربما هناك ما أستطيع أن أقوم به لتأمين انفرادك بريف.

ارتفع حاجبا غلوريا بشكل مؤثر: «ليت هناك طريقة . . »

قدمت الفرصة نفسها بشكل مفاجيء ذلك المساء. كانت مارغ تتعمد ملاطفة كونورواي على مائدة العشاء. إنما بدون المبالغة إلى ذلك لئلا يشك في أي دافع آخر . . لكنها ركزت على عدم تبادل الملاحظات الجارحة أو الساخرة.

عندما ترك الأربعة المائدة لاحتساء القهوة في غرفة الجلوس، نظر كونورواي إلى النوافذ التي أظلمها الليل . . وقال:

ـ لقد توقف المطر. يجب أن نخرج لنتفقد الماشية غداً.

كررت مارغ قوله وهي تتمسك بالفرصة:

ـ توقف المطر؟ أعتذر منكم، سأتخلى عن احتساء القهوة للقيام بنزهة سيراً، فقد حبسني الطقس اليوم بما فيه الكفاية.

كان كونورواي خلفها بحيث لم يستطع رؤية غمزتها لغلوريا التي ردت وبريق الفهم السري في عينيها البنيتين:

ـ بالتأكيد لن نعترض.

ـ سأحضر كنزتي.

بدأت المسير إلى الدرج ثم توقفت، وضحكت بخفة:

ـ الأفضل أن أرى إن كان لدى لوسيا مصباح يدوي، لا أريد أن أتعثر بشيء فأكسر ساقي في الظلام.

قال كونورواي: «سأرافقك».

رفضت بسرعة: «لا داعي لهذا . . سأكون على ما يرام بمفردي. صدقني».

ـ أنا واثق أنك ستكونين على ما يرام، لكنني سأرافقك على أي حال.

كانت قسماته المنحوتة المعالم متحفظة وفمه خالياً من الرحمة.

ترددت مارغ متعمدة إعطاء انطباع بأنها تريد الجدال . . لكن كونورواي لم يكن سهلاً كحال الرجال الذين عرفتهم . . فاستسلمت بعدما سمحت له بأن يقوّمها بنظرة طويلة:

ـ حسناً . . سأحضر كنزتي.

عندما نزلت والكنزة في يدها كان في عنقها عرق ينبض بجنون . . عزت هذا النبض المجنون إلى النظرة المثيرة للاضطراب التي كان يراقب فيها كل خطوة تخطوها. كانت قد تأخرت في تمشيط شعرها بتسريحة توحي بأن الريح بعثرته، وأضافت قليلاً من أحمر الشفاه البراق إلى شفتيها.

عرفت أنها تبدو فتاة بريئة فاتنة. كان تركيزها هذه المرة على

www.elromancia.com

الفتنة أكثر من البراءة كما حدث في المرة الأولى التي حاولت فيها خداعه. ربما يكره الفراشات ولكنه من البشر.. ولقد أثبتت بيترا هذا.

حملتها قدماها بخفة إلى الردهة ومنها إلى الباب الذي فتحه لها. توقفت في الخارج بانتظار إغلاق الباب والانضمام إليها. ثم تقدمته مجتازة الدرجات الحجرية القليلة. عندما استدارت نحو الممر المسيج بالشجيرات الشائكة الصغيرة تظاهرت بتجاهل الرجل السائر على مسافة غير بعيدة عنها.

كان السير في الدرب المفضي إلى المرعى خياراً مقصوداً، فهنا سيصب القمر عليها نوره الفضي فيزداد شعرها اشقراراً وشفتاها لمعاناً.

طافت عيناها في الأرض المترامية الأطراف.. لم يكن من الضروري التظاهر بأنها مسحورة بجمال الليل إذ كان القمر يحتل قبة السماء السوداء المشتعلة بنيران النجوم. وعلى مسافة منه شاهدت برقاً يومض ويخبو.

تمتمت وكأنما لنفسها: «ما أجمل هذا المنظر».

لكنها لم تنس للحظة واحدة وجود كونورواي معها.

ـ أجل..

أجفلتها سخريته الجافة. ما إن ألقت نظرة إلى جانب وجهه القوي حتى علمت أنه غير متأثر بجمال الليل أو بجمالها.

توقفت متسائلة عن رده المعدومة فيه الحماسة. «أليس المنظر جميلاً؟»

اشتعل عود ثقاب عند طرف سيكارة ثم انطفأ. وبعد ذلك ارتدت نظرته الفضية إلى وجهها:

ـ هل تحبين الإطراء؟

ـ إطراء؟

لاح على فمه طيف ابتسامة متوحشة:

ـ أليس من المفروض أن أتأثر برؤية جمالك في ضوء القمر؟

تطايرت شرارات الغضب من عينيها ولكن صوتها كان هادئاً عندما ردت: «لا».

تابعت المسير بتؤدة ولكنها كانت تشعر بنظرته المرتابة على وجهها. تعرف أنها تعمدت اقتناص بعض الإعجاب منه، لكنها ستقطع ذراعها قبل أن تعترف.

ـ أليس من المفترض أن نتحدث عن ريف وغلوريا؟

جعلها تعبيره الساخر تتوتر ولكنها تابعت المسير تنظر إلى السهل على سفح الجبل بدون أن ترى شيئاً منه.

قالت بلا اكتراث: «إذ رغبت في ذلك».

ـ أليس هذا سبب دعوتي إلى التنزه برفقتك؟

ـ أنا لم أدعك إلى التنزه برفقتي كونورواي بل أنت من دعا نفسه.

نظرت إليه بتأنيب.

ابتسم ابتسامة تسلية: «عرفت أنك تريدين مني أن أرافقك، ولكنني لم أفهم السبب».

رفعت رأسها إلى الوراء تنظر إليه بغضب:

ـ ليست أسباب خروجي في هذه النزهة بمعقدة. فهي لا تعدو أن تكون رغبة في تنشق الهواء الطلق. إن هدوء الأمسية لا يشجعني على الدخول في نقاش معك.

ـ حاولت استرضائي طوال الأمسية.. لماذا مارغ؟

www.elromancia.com

أطلقت لفظة اسمها الفظة اضطراباً في معدتها.

ـ لقد سبق أن قلت لك.

ـ لقد ادعيت سبباً.. لكنك لم تقولي الحقيقة.

الرجل شديد الملاحظة ولكنها تحدثه بخفة:

ـ لماذا لا تقول لي ما هي الحقيقة؟

ـ أتصور، أن فتاة بمثل جمالك معتادة على إعجاب الجنس الآخر.. بعد أسبوع هنا.. قد تحتاجين إلى رفقة رجل.. عبث عابر لتحافظي على التمارين.

ازداد رأسها ارتفاعاً فومض شعرها الأشقر تحت ضوء القمر، وسألت:

ـ من المفترض أنني خدعتك لتخرج معي لهذا السبب؟

ـ لقد اخترت موقعاً رومانسياً.. نزهة تحت ضوء القمر على درب يبعد مسافة عن البيت.

ابتلعت ريقها غصباً. ثم استرقت النظر إلى ما حولها، لم تدرك كم ابتعدا عن المنزل. وكم كانا منفردين إذ لا تحيط بهما إلا المراعي والسهول وضوء القمر.

ردت بجرأة:

ـ لو كانت هذه نيتي لأخذت رجلاً منجذباً إليّ، على الأقل.. إن كراهيتك لي أوضح من الوضوح نفسه.

تفرس في وجهها المستدير إلى الأعلى نحوه:

ـ بل على العكس.. أنا منجذب إليك. أعتبرك ساحرة متآمرة إنما هذا لا يخفف من رغبتي في مغازلتك، فأنت امرأة جميلة خلابة.

أرسلت وقاحة إعلانه رعشات باردة إليها. ردت عليه بحدة

وهي تشيح بوجهها:

ـ وفّر إطراءك وغزلك لبيترا. أعتقد أنها ستكون أكثر امتناناً لك مني.

أمسك ذقنها بإبهامه وسبابته ليدير رأسها إليه مجدداً.

قال ساخراً بصوت أجش وعيناه مركزتان على لون وجنتيها الوردي الذي لم يستطع إخفاءه النور الخفيف.

ـ أتغارين؟

انتزعت وجهها من لمسته: «أيها المغرور المتعجرف..»

انقلب اللمعان في عينيه إلى فولاذ عندما وضع يده على ثغرها، ليسكت سبابها. ارتفعت يداها لتبعد أصابعه، ولكنها لم تجد نفسها إلا مسحوقة على صدره.. أبعد ببطء يده عن ثغرها.

ـ تساءلت كم سيطول بك الوقت قبل أن تفقدي أعصابك. اصرخي الآن ما شاء لك ذلك، فليس هناك أحد حولنا ليسمعك.

قالت بصوت حاد: «اتركني».

شبك أصابعه في شعرها لمنعها من إبعاد وجهها.. فأصبحت عاجزة عن تجنبه. ولكن شهقة احتجاج خرجت منها ما إن لامس العرق النابض في عنقها.

ـ قومي بمقاومتك الكلامية إن شئت، لكنك تعرفين أن هذا ما أردت.

أنكرت، وخفقات قلبها عاصفة: «لا».

تحركت أصابعه على وجنتها.

ـ لماذا أردت أن أرافقك إذن؟

وابتسم بغرور متعجرف.

أثارت أنفاسه التي تلفح وجهها أعصابها.

www.liilas-romance.com

ـ لا تفعل هذا! خرجت من المنزل.. لأنني أردت بعض الخلوة..

ـ هذا طبيعي.

ـ لا.. الخلوة لريف وغلوريا. أردت لهما الخلوة ولهذا أوحيت إليك أن ترافقني.

ارتفع رأسه عنها برضى، وقال متمتماً:

ـ عرفت الحقيقة أخيراً.

أرخى قبضته عنها فاستطاعت تحرير نفسها.

ـ لقد خدعتني.. أليس كذلك؟ لم تشأ إغوائي.

ازدادت ابتسامته عمقاً: «وهل أستطيع ذلك؟»

ابتعدت عنه: «ألا تستطيع؟»

سألها صوت صغير خفي.. أيستطيع ذلك؟

ـ لا!

لكن الإنكار المتوحش كان للصوت الخفي.

قال كونورواي والضحك الصامت في صوته:

ـ من الأفضل أن نعود إلى المنزل. وإن لم تقتنعي دفعني فضولي إلى اكتشاف الأمر بنفسي.

بدا كلامه تهديداً لها.. من الأفضل في بعض الأحيان التراجع وخسران معركة على خسران الحرب كلها.

ما إن دخلا إلى المنزل حتى سارعت مارغوت الخطى أمامه، في هذه اللحظة خرجت غلوريا من غرفة الجلوس.. لم يكن في قسمات وجهها بريق داخلي. نسيت لبرهة رغبتها في الوصول بأقرب وقت إلى غرفتها.. ونظرت إلى غرفة الجلوس وعلى جبينها تقطيبة حيرة، محاولة معرفة ما إذا تشاجرت غلوريا وريف.

ـ أين ريف؟

ردت غلوريا بجفاء: «في غرفة الجلوس، كان مرهقاً فنام منذ عشرين دقيقة».

أغمضت مارغ عينيها وهي لا تصدق، تناهت إليها ضحكة خافتة من خلفها ما لبثت أن أصبحت مجلجلة. رمت كونورواي بنظرة غضب فلمحت بريق المرح في عينيه، ورأت الابتسامة العريضة على وجهه.

دخل نوع من المكر إلى المرح وقال وهو يهز رأسه: «آه! يا لسخرية القدر يا مارغ!»

عبست غلوريا بعدما ابتعد نحو مؤخرة المنزل:

ـ ما المضحك؟

رفعت مارغ يدها إلى شعرها المشعث، وابتسامة خفيفة تلامس شفتيها.. أجابت وهي تتنهد ضاحكة:

ـ لا تسألي غلوريا.. لا أظنك ستجدين الأمر مضحكاً كما وجده هو.

* * *

www.elromancia.com

٦ ـ نداء الطبيعة

أعلنت مارغ وهي ترجع خصلة منسلة من بين خصلات شعرها المربوط على شكل موزة قديمة الطراز:

ـ لقد غيرنا أغطية أسرة كل الغرف إلا غرفة كونورواي لوسيا لأننا لم نعرف أية غرفة غرفته.

كانت لوسيا آروز جاثية على يديها وركبتيها في الردهة تنظف وتلمع الخشب، فاستقامت ويدها تشد على أسفل ظهرها:

ـ لقد اهتممت بغرفته.. إنه ينام في الطابق السفلي في آخر المنزل.. لم أفكر في ذكر الأمر.

سألتها غلوريا وهي تحمل الشراشف أمامها:

ـ أتريدين مني أن أضعها في الغسّالة؟

هزت مدبرة المنزل رأسها رافضة العرض:

ـ لقد قمتما بما فيه الكفاية.. أنتما ضيفتان هنا لا خادمتان.

أصرت مارغ: «لكننا نستمتع بمساعدتك».

أضافت غلوريا: هذا أفضل من الجلوس بلا عمل.. إننا بذلك نفيد بشيء، ثم هل غسل الشراشف أمر متعب؟ كل ما علينا وضع مسحوق الغسيل وكبس زر الغسّالة.

ـ فلتضع غلوريا الغسيل في الغسّالة أما أنا فسأساعدك بتلميع الخشب.

لم تترك لها مارغ مجالاً للاحتجاج إذ انحنت لتأخذ قطعة قماش قابعة قرب قدمي لوسيا آروز.. لكن مدبرة المنزل حاولت أخذ قماش التنظيف من يدها:

ـ لن أتركك كما تفعلان هذا.

أبعدت مارغ القماش عن يد لوسيا.. لتسأل غلوريا بخفة: «وكيف تمنعيننا؟»

قالت مارغ تداهنها: «هيا لوسيا.. نريد مساعدتك. قلت بنفسك إنك لن تستطيعي القيام بالتنظيف اللازم في الوقت المناسب. لقد مضى على وجودنا هنا عشرة أيام، ولا يمكننا البقاء على هذه البطالة فيما أنت لا تتوقفين عن العمل».

رفعت لوسيا يديها في الهواء مستسلمة:

ـ أستسلم! سأحضر قطعة قماش أخرى وسننظف هذه الردهة.

ابتسمت مارغ: «اتفقنا. أنا أنظف الخشب قرب الأرض لئلا تضطري إلى الوقوف والجلوس كثيراً، أما أنت فقومي بتنظيف ما حول الزخرفة».

بعد ساعتين من الزحف على الأرض على يديها وركبتيها بدأت عضلات ظهر مارغ وكتفيها بالاعتراض.. كانت تتألم، ولكنه نوع لذيذ من الألم. فقد كان العمل متنفساً للتململ القلق الذي سيطر على الفتاتين.

عادت الأمسيات إلى سابق عهدها.. كونورواي مسيطر بوجوده على الثلاثة الآخرين إذ لم تحاول مارغ مخادعة كونورواي لإبعاده عن ريف وغلوريا.

لم تخبر مارغوت بحقيقة ما حدث بينها وبين كونورواي عندما حاولت إبعاده عن طريق غلوريا وريف واكتفت بأن قالت إنه حاول

www.elromancia.com

إغواءها، هذا دون ذكر استجابتها العميقة لها.

استطاعت غلوريا بعيداً عن الوقائع الدقيقة أن تفهم الجانب المضحك من المسألة.. فبينما كانت مارغ تحاول صد تحرشات كونورواي، كانت هي تصغي إلى شخير ريف. ولكن نتيجة الحادثة تضاعف إحساس مارغ بمضيفها المفتول العضلات.. لقد كانت دوماً المسيطرة على أية علاقة تقيمها لذا لم يعجبها الإحساس بأنها عرضة للخطر. إنه لا يحب الفراشات ومن الممكن أن يحاول يوماً تحطيم جناحيها.

ثم، هناك التحدي الصامت كذلك.. لقد حصلت على كل رجل سعت إليه. ولكن ماذا عن كونورواي؟ أهو الاستثناء والشواذ في القاعدة؟

سمعت صوت صلصلة خلفها.. فمسحت خصلة عن وجهها، وبدأت تستدير مفكرة أن من السخف أن تضع غلوريا إسوارة في يدها. ثم رافق الصلصلة وقع خطوات واسعة غاضبة تقترب منها.. لمحت قسمات وجه كونورواي المخيفة التي لا تلين.

في اللحظة التالية، أطبقت قبضة قوية على معصم مارغ وشدها غير مبال بصرختها وإجفالها. كانت ساقاها مخدرتين بسبب الجثو مدة طويلة ولأنهما لم تستطيعا حمل ثقلها سعت تثبت جسمها على صدره بيدها الحرّة.

قال بحدة: «ما الذي يجري هنا بحق الله..»

جذب يدها عن صدره ليبعد قطعة القماش التي ما زالت بين أصابعها، وانتزعها ثم رماها بعيداً:

ـ لوسيا!

تهاوت مارغ بقوة على صدره وقلبها يشب وثباً. ترك معصمها

آلياً ولف ذراعه حول خصرها ليتلقى ثقلها.

جعلتها حركتها المفاجئة الاضطرارية تنظر إلى عينيه الضيقتين المظلمتين فذعرت من العنف الكامن فيهما.

صاح بصوت راعد مهدد:

ـ لوسيا.. ما معنى هذا؟ من الأفضل أن تفسري ما يجري.

كان قربه منها يخدّر أحاسيسها، بدا أن من العسير بل من المستحيل أن تشيح وجهها عن قسماته. لم تبدُ لوسيا آروز خائفة من غضبه، لكن مارغ قفزت إلى الدفاع عنها.

قالت بأنفاس مقطوعة:

ـ كنت أساعدها.

ارتدت نظرة كونورواي إليها لثوان تشل الأعصاب:

ـ أصمتي مارغ.. لوسيا قادرة على الرد عن نفسها.

انصبَّ اهتمامه من جديد على مدبرة المنزل، التي ردت ببساطة:

ـ عرضت الفتاتان المساعدة.

نظر من فوق كتفه قائلاً: «وأنت كنت تعملين كذلك؟»

لم تستطع مارغ رؤية غلوريا التي وقفت مرتبكة قرب الدرج وعيناها البنيتان مصدومتين بسبب رؤية مارغ أسيرة الأسد الهادر.

تمتمت: «كنت.. كنت أقوم بالغسيل».

أطلق سباباً قبل أن يضيف:

ـ سأقول هذا لمرة واحدة فقط يا لوسيا.. إنهما ضيفتان في منزلي، وأنا لا أسمح للضيوف بالزحف على أيديهم وركبهم، لتنظيف الخشب أو غسل الملابس!

وقفت لوسيا أمامه بهدوء ويداها مضمومتان أمامها:

ـ إنهما فتاتان قديرتان تتمتعان بصحة كاملة كونورواي لذا لا تتوقع منهما الجلوس في المنزل يوماً بعد يوم وهما تتلاعبان بأصابعهما.

ـ لا أهتم أبداً بما تفعلان.. لن أسمح لهما بالعمل كخادمتين في هذا المنزل. هل هذا واضح؟

ردت مارغ بتحدٍ: «وكيف ستمنعنا؟ حاولت لوسيا ولم تنجح.. لقد أخذت منها قطعة القماش وبدأت بتلميع الأرض بدون استئذانها».

اشتدت الذراع حول خصرها، تسحقها بقوة.. طالبها بريق عينيه القاسي أن تصمت. شرّح سيفان فولاذيان وجهها المتورد ثمّ انتقلا إلى لوسيا:

ـ فلتبق مارغ بعيداً عن هذا.. هل كلامي واضح لوسيا؟

ردت مدبرة المنزل نظرته بلا تردد:

ـ لست الملامة على هذا.. أنت على حق. إنهما ضيفتان هنا.. وعليك تقع مسؤولية تسليتهما لا عليّ. لقد اخترت إهمالهما لذا لا يحق لك أن تفقد أعصابك لأنهما وجدتا طريقة خاصة لهما للتسلية ولملء الوقت الفارغ.

أبعد مارغ عنه، وكأنها دمية من قماش، ثم التفت ليشرف على مدبرة المنزل:

ـ من الأفضل لك يا لوسيا أن تتذكري أنك لست جزءاً من العائلة، بل موظفة مدفوعة أجرتها.

صلصل المهماز في حذائه مجدداً قبل أن تنقله خطواته الواسعة إلى الباب.. انتفضت مارغ عند سماع رعد الباب متوقعة أن يهتز زجاج النوافذ من تأثيره، انتقلت نظرتها إلى مدبرة المنزل المحدقة

بصمت إلى الباب..

قالت لها مارغ صادقة:

ـ أنا آسفة لوسيا. لم نقصد أن نسبب لك المتاعب.

هزت لوسيا آروز كتفيها، وغمزت بعينيها السوداوين:

ـ سينسى غضبه أما الآن فيستحسن أن تتركا شغل المنزل لي، على الأقل حتى يهدأ قليلاً.

ظل الجو في المنزل مشحوناً. لذا كان العشاء ذلك المساء أمراً مربكاً.

لكن مزاج كونورواي السيء لم يتحسن.. بدا أن مزاجه السوداوي يطوف بالبيت والغريب أن خروجه المفاجيء من البيت بعد الطعام مباشرة لم يبعث إلى نفسيهما الراحة. ظلت الغيوم تحوم في المنزل حتى اليوم التالي.. ولأنها لم ترغب في أن تتحداه ترددت في عرض المساعدة مجدداً..

في أمسية اليوم التالي تفاجأت مارغ عندما سمعت ما قال. أما ريف فردد:

ـ رحلة على ظهر الخيل؟

بدا كونورواي غير مهتم للذهول الذي أثاره.

ـ فكرت في الانطلاق صباح الاثنين باكراً. إن هذه الرحلة ستمنح الفتاتين فرصة للاعتياد على امتطاء الخيل، وسنغيب يومين فقط.

ابتلعت غلوريا ريقها: «الخيل؟»

ارتفع حاجب أسود بتسلية ساخرة وأكد كونورواي لها:

ـ أجل.. الخيل. إلا إذا رغبت في السير على الأقدام حتى قمة الجبل؟

ـ لا بالتأكيد لا.

نظرت غلوريا إلى مارغ لترى ردة فعلها.

قال يذكرها: «قلت إنك قادرة على ركوب الخيل».

رد ريف نيابة عنها ومدّ يده ليغطي يدها:

ـ إنها تجيد الفروسية. سأختار لها فرساً لطيفة هادئة.

قال كونورواي يوجه كلامه إلى مارغ:

ـ وأنت مارغ؟ أتجيدين ركوب الخيل أم تفضلين فرساً لطيفة هادئة كذلك؟

في صوته شيء من الحدة. حاولت استكشاف تعابير وجهه ولم تفلح فهي لا تصدق أنه فعلاً يريد القيام بهذه الرحلة.

ردت بشيء من التململ: «أجيد الركوب».

علق بخشونة: «لا أراك متحمسة».

سحبت نفساً عميقاً مستنجدة برباطة جأشها وشجاعتها:

ـ ربما.. لأنني لا أظن أن هذه الدعوة صادرة عنك بملء إرادتك.

همست غلوريا متوسلة:

ـ مارغ!

تحداها كونورواي: «أتعتقدين أن خطبة لوسيا القصيرة بالأمس ذكرتني بمسؤولياتي كمضيف، وابتزتني لكي أفعل هذا؟»

ـ أجل.. هذا ما أظنه.

ارتجف فمه ولكنه هزّ رأسه المتعجرف اعترافاً:

ـ حسناً. أنت على حق في هذا الاعتقاد. والسؤال يبقى: أتريدين الذهاب؟

بالتأكيد تريد الذهاب..

ارتفع ذقنها مفكرة فالتقت عيناها نظرة كونورواي المراقبة، وهو يدرك خوف غلوريا من الحيوانات خاصة من الجياد كما يدرك افتقارها إلى روح المغامرة.

لم تدن مارغ غلوريا إن رفضت اختبار عالم اخر.. لكن كونورواي يدينها، فهو يعتبر ذلك عيباً خطيراً في زوجة أخيه العتيدة. وها قد آن الأوان ليعرف أن لدى غلوريا جرأة كبيرة فغلوريا وإن كانت تحب أمان المنزل ستذهب إلى حيث يقودها ريف.

تلاعبت ابتسامة بثغر مارغ. أخيراً أجابت: «أجل. أحب أن أذهب».

قال كونورواي: «اتفقنا إذن. سأبدأ بتحضير ما يلزم».

وبدا عليه الاستغراب بسبب نظرة الإذعان على وجه مارغ.

كان الفجر قد انبزغ عندما امتطوا جيادهم مبتعدين عن مباني المزرعة باتجاه سفوح الجبل.. شخر جواد مارغ بانتعاش وشوق للرحلة. نظرت مارغ خلفها إلى الممر العريض الذي تركوه خلفهم.

كان الصمت آسراً تقريباً. إلا أنه لم يكن صمتاً حقيقياً، فالعشب يخشخش تحت حوافر الجياد التي بعثرت قطرات الندى الألماسية..

سألها كونورواي بصوت خفيض: «أتعيدين النظر؟»

كان على وجه مارغ بريق متوهج عندما نظرت إلى كونورواي الذي يسير جواده قربها.

أجابت تؤكد له: «أبداً».

لم يدم البريق الأصفر الشاحب إلا دقائق قبل أن تشرق الشمس من فوق القمم.. بدا أن الجبل يستحم تحت أشعة الشمس المتصاعدة. وما إن وصلوا إلى سفح الجبل حتى ارتفعت الشمس في

www.elromancia.com

كبد السماء فكست السفوح بأشعتها البراقة.

عندما دخلوا إلى غابة صنوبر، عبقت رائحتها الزكية في الجو. تقدمهم كونورواي فلحقت به مارغ وتبعها غلوريا وريف، كان الطريق ضيقاً بحيث لم يتسع إلا لراكب واحد وهذا ما جعل الحديث مستحيلاً. لم تمانع مارغ في هذا لأنها كانت غارقة في أفكارها.

توقف جواد مارغ فجأة. كانت تراقب سنجاباً ينظر إليهم من وراء جذع شجرة بقلق. أعادت بصرها إلى الأمام فوجدت كونورواي قد أوقف جواده ليتفحص جواد المؤن.

همز كونورواي جواده الكستنائي نحو منبسط من الأرض فسيح فلحقت به محافظة على انفرادها، دون محاولة الاقتراب منه.. تجاهلت للحظة المناظر وركزت نظرتها على الكتفين العريضتين أمامها.

جلس كونورواي بسهولة وكأنه جزء لا يتجزأ من الجواد ومما يحيط به.. كانت نظرته لطيفة كما لم تكن يوماً. اهتزّت أحاسيس مارغ وهي تلمح جانب وجهه المتجهم الذي عكست أشعة الشمس الذهبية شرارات متوهجة على قسماته. جذبتها جاذبيته ورجولته كالمغناطيس.

كونورواي، في بلاد البراري هذه بين عالمه ومعدنه. حاولت مارغ إبعاد نفسها عن جاذبيته، فابتعدت عيناها الزرقاوان عمداً عنه وحطتا من جديد على المناظر التي يخترقونها. ولكن كانت عيناها مع تقدم الصباح تزدادان انجذاباً إلى الرجل الذي يتقدمهم.

بدأت كثافة الأشجار تخف مفسحة المجال لفسحات عشبية مرتفعة مرقطة بالصخور وملونة بأزهار الجبل البرية. بدا أن تسلقهم المستمر رفعهم مسافة لا بأس بها، ولكن قمم الجبال ما تزال بعيدة

وما هذه إلا تلة لا قيمة لها مقارنة بالجبلين الآخرين اللذين يتصلان بسلسلة من السفوح.

مع ذلك فقد أغوت التلة مارغ، فمن ورائها كان في بطن الوادي ممر ملتو يخترق جدران الجبل المحصنة وكان المجاز الضيق في أعلى التلة يعد بمنظر رائع. حثث جوادها للاقتراب من كونورواي الذي ألقى عليها نظرة جانبية ملؤها التساؤل.

سألت: «هل سنصل إلى قمة التلة؟»

أقنعت نفسها أن انحباس أنفاسها عائد إلى الإرهاق لا إلى بريق عينيه الفضيتين.

ـ بإمكاننا هذا.

التفت نحو غلوريا وريف.

ـ سنصعد إلى القمة ريف.

لوّح ريف لهما: «سنلتقي عند ظهر المرتفع».

لم يكن هذا ما فكرت فيه مارغ. أرادت أن يتشارك الأربعة المنظر ولكنها لن تستطيع الاحتجاج الآن. شد كونورواي حبل جواد المؤن، ولكز جواده فسار الجوادان تلحق بهما مارغ.

كانت قمة الجبل أكثر انحداراً، وأبعد مما اعتقدت مارغ.. بدا لها أن شجرة صنوبر وحيدة تنمو في شق صخرة. أطلقت مارغ في آخر بضعة ياردات لجوادها عنانه، فأسرع يطيعها.

قالت حين توقف جوادها قرب جواده:

ـ لم أتوقع أن تكون بعيدة إلى هذا الحد.

كانت عيناها تطوفان بالمنظر الخلاب، وأضافت:

ـ ولكنه يستحق العناء.

كانت مباني المزرعة مستترة تقريباً وراء الصنوبر، وكان السهل

www.elromancia.com

الأخضر ممتداً كأنه وشاح أخضر على أرض الوادي.

ترجل كونورواي يلف الحبل على قربوص السرج.

ـ سنتنفس الصعداء قليلاً هنا ونعطي الجياد بعض الراحة.

كانت مطيتها أقل رشاقة من مطيته بشكل ظاهر.. كادت عضلاتها المتشنجة غير المعتادة على الركوب الطويل تحتج: ولكن تعبها كله ولّى ما إن رأت أمامها شكل أسود في السماء الصافية الزرقاء.

همست بانفعال: «كونورواي.. انظر!»

كان يخفض من رباط سرجه، فتوقف ليلحق بأصبعها.

ـ أهو نسر أو صقر؟

ـ إنه نسر.. نسر أصلع.

اقتربت مارغ منه لا إرادياً ووجهها يتسابق في شرايينها من الإثارة.. لم تكن قادرة على انتزاع بصرها عن النسر السابح فوق الجبال..

قالت: «لا أعرف كيف لأحد أن يدّعي الثراء إن لم يرَ نسراً كهذا يطير بحرية».

ـ إنه تصريح يدل على عمق التفكير.

في صوته ما جذب نظرها إليه.. فوراء نظرته الكسول شيء من الإعجاب. لقد جعلها منظر النسر خفيفة مرحة، تحس بالخفة والطيش.. ردت بجرأة:

ـ ألأنه صادر عني؟ لم تتوقع مني مثل هذا التصريح.

برقت التسلية في عينيه قليلاً قبل أن يتحرك بكسل نحو جواده. وضع الركاب فوق السرج وفك الحزام.. رفع نسيم عليل أجنحة شعرها الشعثاء فبعثر الذهب المحروق تحت أشعة الشمس.

قال بصوت هامس: «أتحاولين المناورة من جديد مارغ؟»

هزت كتفيها بلا اكتراث: «لا أفهم قصدك».

ـ عرفت عندما اقترحت بلوغ هذه القمة أن غلوريا لن ترغب في ذلك بإرادتها وخاصة وهي تمتطي جوادها.

ربت عنق الجواد، ومر من تحت رأسه ليقف قربها.

ـ ألم تحاولي ترتيب انفرادها بريف؟

تنهدت تنهيدة رضى: «قل ما تريد».

رفعت وجهها إلى الشمس تاركة أشعتها الدافئة تنتشر فوقه.

ـ أنا في مزاج رائع جداً لذا لن أتشاجر معك كونورواي.

رد بعذوبة: «لم أكن أفتعل شجار».

ظهرت التسلية في عينيها: «حقاً؟!»

نظرت عبر أطراف أهدابها الذهبية فالتقت نظرتها عينيه الساخرتين.. وطافت عيناه ببطء على وجهها.

ـ أعتقد أنك تحاولين العبث بي.

تجاوزها ليأخذ قربة ماء عن سرجه.

أمالت رأسها إلى جانب واحد وجرأة لعوب تكتنفها:

ـ وماذا إن كنت أحاول العبث بك؟

فتح غطاء القربة وأعطاها إياها قائلاً:

ـ لا أظنك من طبقتي.

تطاير الشرر من عينيها اللازورديتين من فوق حافة القربة وهي تشرب القليل من الماء البارد. كانت أحاسيسها كلها متحفزة وجاهزة للقبول. أعادت له القربة وهي تقول بصوت منخفض، كأنها تحذره:

ـ لا أظنك تعرفني جيداً.

www.elromancia.com

لولا رفعه القربة إلى فمه في تلك اللحظة لرأى المكر في عينيها، ففي اللحظة نفسها رفعت يدها تدفع القربة بخفة فانسكب الماء على وجهه.. لم يستطع رغم الغضب في عينيه منع نفسه عن الضحك.

قال مزمجراً إنما دون غضب حقيقي: أيتها الماكرة!

أعاد الغطاء إلى فوهة القربة ثم تقدم خطوة ملؤها التهديد. ولكن تراجعها تعثّر إذ اصطدم بجواده الذي تحرك بضع إنشات احتجاجاً. حاولت التملص من يديه الممتدتين نحوها ولكنها فشلت وأمسك بذراعها.

ـ أنا آسفة كونورواي.. صدقني لم أستطع منع نفسي.

لكن غليان التسلية في صوتها كذب تأكيدها فشدها إليه ضاغطاً ذراعيها إلى صدره فحاولت التحرر منه ضاحكة. أرجعت رأسها إلى الخلف وأدارت عينيها المرحتين إلى عينيه. ولكنها لم تر في اللمعان الضبابي غضب بل شيئاً آخر. تلاشت الابتسامة تدريجياً عن شفتيها.. انحدرت نظرتها أكثر ثم تلاشت قدرتها على المقاومة بسرعة.

في اللحظة التالية كانت يداها تلتفان حول عنقه تضمه إليها بإصرار متوحش، مستجيبة لمطلبه الشغوف.

نسيت كل إحساس بالقيود وهي تلين تحت لمساته الخبيرة. أثارت يداه أحاسيس لا عهد لها بها واشتياقاً إلى المزيد من العناق.

بدد وقع حوافر فوق الصخور السحر. وصاح ريف الذي ما يزال على مسافة بعيدة. كانت شجرة الصنوبر الوحيدة والجواد يخفيانهما عن نظره:

ـ كونورواي.. ألن تعودا؟

عندما رفع رأسه على كره منه، انخفضت يداه إلى خصرها يضمها إليه، فوضعت رأسها على صدره وابتسامة رضى صغيرة تتلاعب على شفتيها.

نادى كونورواي بصوت أجش مضطرب:

ـ سننزل حالاً.

اقشعرت بشرتها من السعادة.. كانت تشعر بأنفاسه المضطربة، وتسمع خفقات قلبه غير الرتيبة التي توازي خفقات قلبها جنوناً.. بإمكانها أن تحصل عليه.

في تلك اللحظة السعيدة، عرفت أنها قادرة على إركاع هذا الرجل.. ولا يهم أبداً أنه لا يحبها، لأنها تعرف الآن أنه يرغب فيها. أمنت لها هذه المعرفة قوة هائلة قد تستخدمها لتكسب ما تريد.

أبعدها كونورواي عنه، ثم سار إلى الجوادين يربط حزاميهما.. ظاهرياً بدا غير متأثر بالعناق المشحون الذي تشاركاه. كانت عيناه باردتين وكأنهما غرانيت صلب.. سيطرته على نفسه رائعة.. ولولا تنعمها ببضع ثواني بين ذراعيه بعد إنهاء العناق لما عرفت أنها أثارته بنجاح.

قفز إلى جواده:

ـ اركبي.

ضاقت عيناه بتفكير أما مارغ فنفحته بابتسامة مذهلة، وأطاعت أمره. ستكون هذه الرحلة أكثر إثارة للاهتمام، وأكثر إثارة مما فكرت..

***

٧ ـ في قلب الخطر

أشاحت مارغ وجهها بأسف عن المنظر الرائع أمامها:

ـ ليتنا لا نغادر المكان.

التفت كونورواي نحوها يجذب السرج عن جواد مارغ:

ـ أترغبين في أن تعودي بدائية؟

ابتسمت لتسليته الساخرة:

ـ شيء من هذا القبيل.. ما العيب في العودة إلى الطبيعة والأصل؟

ـ الأمر سهل ما دمت اشتريت المؤن.. ولكنه لن يكون رومانسياً متى اضطررت إلى البحث عن الطعام.

أبعد السرج، ورمى بطانية نحو مارغ:

ـ ادعكي ظهر الجواد وتأكدي من جفافه.

وقف الجواد بإذعان وهي تمسح بقع العرق السوداء حيث كان السرج واللبادة من تحته:

ـ أنت لا تصدق أنني قد أحب الحياة البرية الجافة؟

نظر إليها من فوق سرج:

ـ أخبريني أنت.. فبعد شهر ستتكسر أظافرك، وتتخدش يداك وتتشققان.. وستحرق الشمس بشرتك الجميلة. وماذا عن شعرك؟ من سيرتب لك شعرك الذهبي اللماع؟

ضحكت مارغ.

ـ لماذا لم تشر إلى الصعوبات والأخطار؟ لِمَ لم تتهجم على شيء آخر غير زينتي؟

كانت مسرورة سراً أنه لاحظ هذا القدر منها..

وقف ريف أمام الجواد الذي كان يدعكه أخاه الآن.

ـ أتريد بعض المساعدة كونورواي؟ المخيم جاهز وغلوريا تجمع الحطب للنار.

نظر كونورواي إلى الموقع الذي اختير لمخيم الليل:

ـ لا.. من الأفضل أن تحضر قصبات الصيد من الصرّة وتبدأ بالتقاط السمك للعشاء.. أما أنا ومارغ فسننهي عملنا هنا.

تحدثه حالما انفردا ثانية:

ـ وماذا سنأكل إن لم يلتقط ريف أية سمكة ترويت؟

ـ هناك الفاصولياء. طعام الغرب الدائم.

إنها المرة الثانية التي تشاهده فيها يبتسم بحرية. تسارع قلبها أمام جاذبيته التي تظهر بجلاء عندما يضحك.

ضرب مؤخرة جواد ريف ليبعده عن الطريق.. ثم سار إلى جواده الذي ما يزال مسرجاً. أنهت مارغ جوادها ثم اقتربت من الجواد الكستنائي، تمسح أنفه، فنفح أنفاساً ناعمة في يدها وملء عينيه البنيتين الفضول وهو يتأملها.

مرّت أصابعها في غرّة الجواد السوداء:

ـ ما اسم جوادك؟

هز كتفيه بلا اكتراث، والسخرية تطل من عينيه وهو ينظر إلى وجهها:

ـ بوي.. فيلا.. وأحياناً أسماء متعددة يجب ألا تذكر أمام

www.elromancia.com

سيدة.

رفعت رأسها دهشة: «أليس له اسم؟».

ـ لا.. إنه مجرد حيوان. لبعض جياد المزرعة أسماء وهي تلك المسجلة أساساً كسلالة.

رفع السرج عن ظهر الجواد، ووضعه على كتفه يحمله إلى حيث السروج الأخرى. ثم عاد ليبدأ دعك الجواد.

ـ ولد هذا الجواد في الجبل لذا لا نسب له.

ـ ألا تسمي جيادك.. صدقاً؟ لماذا؟

كانت حافة قبعته منخفضة إلى الأمام بحيث ظللت وجهه. لم تكن متأكدة، لكنها ظنت أن قسمات وجهه ازدادت قسوة. امتنع لبرهة عن الرد فظنته سيتجاهل سؤالها ولكنه قال:

ـ كان عمري خمس سنوات عندما أهداني أبي أول جواد. اسمه «الحجر الأصفر» وأعتقد أنني كأي طفل في العالم خلته أفضل جواد في العالم.. وحينما بلغت الثانية عشرة، امتطيته وانطلقت إلى الجبال لأصطاد. ولم أنتبه إلى الوقت حتى أدركت أن بعد الظهر حل. ولأنني كنت بعيداً أميالاً كثيرة عن المزرعة، ولا أمل لي بالعودة قبل الظلام اتخذت طريقاً مختصراً وكان ذلك يعني السير في منطقة شديدة الانحدار، كثيرة المنزلقات. كنت قد أخذت «الحجر الأصفر» من قبل معي وسلكت به هذا الطريق، لكنني نسيت أن اليوم السابق شهد عاصفة.. وما إن بدأنا النزول حتى بدأت الأرض تنزلق من تحتنا، ارتميت من فوق الجواد وتدحرجت حتى الأسفل. وتدحرج معي الجواد الذي انكسرت قائمتاه الأماميتان.

انقبض صدرها بحدة.. واسودت عيناها الزرقاوان لتعكسا الألم الذي شعر به..

ـ كنت بعيداً أميالاً عن المنزل وعن طلب العون.. مع أنه لم يكن هناك ما يمكن القيام به من أجل الجواد. ولأنني لم أستطع تركه يتألم ويعاني عاجزاً، وضعت حداً لعذابه. أخطأت الهدف مرتين قبل أن أقتله.. ثم توجهت إلى المنزل سيراً على قدمي.

لم تستطع مارغ رؤية ملامح وجهه عبر ستارة من الدموع. ولكنها عرفت أن وجهه نحوها.

ـ لذلك لا أضع أسماء لما قد أضطر يوماً إلى تدميره.. الجياد حيوانات فقط كالماشية التي نذبحها لنأكلها. كان درساً تعلمته.

ملأت الغصة صوتها عندما قالت:

ـ أجل.. أجل.. أفهم هذا.

عرفت أن الدموع ستنهمر من عينيها في أية لحظة، وعندئذ سيسخر منها كونورواي، فسارعت تقول:

ـ سأذهب لأساعد غلوريا.

ـ اذهبي، لا أحتاجك.. أستطيع إنهاء كل شيء هنا.

تساءلت مارغ عما إذا كانت حاجته للآخرين قد توقفت منذ ذلك اليوم. فقبل هذا التاريخ بسنتين تركته أمه لسبب لم يستطع يوماً أن يفهمه.. فهل من الغريب أن يصبح في كبره بهذه القسوة والسخرية؟

رغبت بقوة في ضم ذلك الصبي الصغير بين ذراعيها والتخفيف من ألمه وحزنه. ولكن كونورواي لم يعد ذلك الصبي الصغير، بل ما عاد يسمح لنفسه بالحزن والألم.

حاولت قدر المستطاع نسيان ذلك المنظر الذي وصفه لها بصوته الأجش فلم تقدر. طاردها التفكير فيه فخيَّم على جمال السهول، وحجب عنها صفاء الجدول.. لم تعد تلك الحادثة القديمة تؤلمه.. لذا من الحماقة أن تتركها تؤلمها.

لكن هذا لم يغير واقع قدرتها على إركاعه. فما زالت قادرة على استخدام الجاذبية التي يشعر بها تجاهها لتتمكن من التلاعب به، ليوافق على زواج غلوريا وريف.

لن يجعله ذاك البرود المتأصل فيه يتردد في استخدام أية وسيلة ضمن مجال قبضته.. ولن تستطيع هي أن تؤلمه مجدداً لأنه أصبح أبعد من الألم نفسه. لم يكن يشفق على أحد، فلماذا تشفق هي عليه؟

نظفت الأسماك التي اصطادها ريف وشويت ببطء فوق جمر نار المخيم، ثم قدمت للجميع مع بسكويت من دقيق الشوفان والطماطم. كانت وجبة لذيذة ولكن شهية مارغ كانت قليلة.

أخذت تحدق إلى وعاء القهوة الرمادي المعلق على جانب النار.. أشركت غلوريا ريف في حمل الصحون إلى الساقية لغسلها.. فهم لم يقيموا المخيم قرب الماء. والسبب أن كونورواي يرفض أن يسدوا الطريق على الحيوانات التي تقصد الجدول للشرب.

وقف كونورواي قرب النار وأعاد ملء كوبه:

ـ أتريدين المزيد من القهوة؟

هزت رأسها لا إرادياً فانعكس لون النار الكهرماني على شعرها.

ـ لا.

سمعت صراخ غلوريا الذي تبعه ضحك ريف الذي أعلن أنه حيوان مسالم. فابتسم كونورواي ساخراً بخبث:

ـ صديقتك متوترة قليلاً.

جعل استهجانه عينيها الزرقاوين قطعتي ألماس بارقتين باردتين

وحادتين، وقسا قلبها عليه.. كيف يجرؤ على السخرية من مشاعر غلوريا وخوفها أمام الحيوان الذي لا تعرفه؟

قالت، بصوت هامس جاف:

ـ ماذا تتوقع كونورواي؟ التخييم في البرية أمر خارج نطاق خبرة غلوريا تماماً.. يشعر المرء عادة في البرية حيث تحيط به الحيوانات بالارتباك والخوف.

ـ وهل أنت خائفة؟

نظرت إليه متحدية نظرته:

ـ لا.. ولكن كثيراً ما كانت عائلتي تخيم في براري يلوستون، لذلك ليس التخييم بتجربة جديدة إليّ.

كان واقفاً في دائرة بعيدة، وقال بلهجة ساخرة:

ـ أراك ما زلت منكبة على الدفاع عن صديقتك.

ردت بعذوبة لتبعد الغضب عن صوتها:

ـ وأراك ما زلت منكباً على الفصل بينهما.

ـ لم أدرك أن الفراشات سريعات الغضب هكذا.. ما بالك مارغ؟

أغمضت عينيها لتكبح اندفاعاً يدفعها إلى رد حاد، سحبت نفساً عميقاً، ثم أطلقته بتنهيدة وهي تهز كتفيها:

ـ لا تمضي الفراشات نهاراً كاملاً على ظهر جواد متسلقات الجبل.

ـ أعضلاتك متشنجة؟

ردت بجفاء وهي تحرك عن غير قصد عضلات ظهرها المتألمة.

ـ استنتاج ذكي.

حدقت إلى ألسنة النار ولكن خشخشة أوراق الصنوبر حذرتها

www.elromancia.com

متأخرة من دنو كونورواي منها. وما إن حاولت الالتفات حتى أطبقت يدان على كتفيها، وبدأتا تدلكان عضلات ظهرها المتشنجة. انسلت منها آهة صغيرة وهي مزيج من الألم والارتياح.

- لولا انحيازك إلى صديقتك لرأيت أن أحدهما على المدى البعيد لن يناسب الآخر، ولانضممت إليّ في محاولة تفريقهما قبل أن يقوما بغلطة فادحة.

كانت أصابعه كالسحر على عضلاتها المتألمة.. تمنت لو يمتنعان عن الحديث ولكنها هزت رأسها وتمتمت:

- أنت لا تعرف أخاك جيداً كونورواي. تعتقد أنه نجا من فراق أبويكما، ولكنك مخطىء. لقد اختار زوجة يعرف أنها ستبقى إلى جانبه في كل الأوقات وإن كنت تظن أن الرحلة ستكشف نقاط اختلافهما فقد فشلت. لأنها إن كشفت له شيئاً فهو تأكده من إذعان غلوريا له مهما كان بدون تذمر. ألا ترى أنها انضمت إليه رغم خوفها مما سيحيط بها؟

سخر منها بصوت منخفض:

- لكن هل ستبقى على إذعانها وتبعيتها له؟

أرسلت أصابعه القوية الاسترخاء إلى عظامها، ولكن سؤاله أجفلها. وأجابت:

- أنت لا تعترض على غلوريا بالذات كونورواي.. بل على الزواج نفسه.. لا يهم من يختار ريف لأنك لن توافق.

رد ببرود وبساطة: «لا».

انطلقت ضحكة قصيرة عميقة من حنجرتها، فلم تكن تتوقع أن يعترف بهذا.. أمالت رأسها إلى جانب واحد، لتنظر من فوق كتفها إلى تعابير وجهه الكسول.

- أتكره النساء إلى هذا الحد حقاً؟

ابتسم ابتسامة ماكرة:

- وما رأيك أنت بالرجال.. مارغ؟ هل أنت معجبة بهم؟ تسعين إليهم؟ أتنظرين إليهم بعين المساواة؟ أم تستمتعين بالتلاعب بهم حول أصبعك الجميلة؟ ثم تتركينهم يقعون عندما يغدون غير قادرين على تسليتك؟

كان اتهامه الساخر قريباً من الهدف.. إنها فعلاً تميل إلى التلاعب بالرجال.. إنما ليس بقسوة كما يتهمها. ففي أعماقها تميل إلى أن يكون الرجل الذي تسعى إليه هو من تحبه.. ولكنها مع كونورواي فقط تريد أن تكون الساحرة العديمة المشاعر.

لم تع مدى الإثارة التي توحيها عيناها المذعنتان حتى رأت النور يظلم في عينيه، عندئذ اشتعلت شرارات ماكرة في عينيها تتحداه.

تمتمت بصوت أجش:

- وأنت كونورواي؟ هل تحتقر حقاً كل ما في المرأة؟ أم أنك تجد أنها ذات نفع أحياناً؟

ابتسم، وقد تعرف إلى الدعوة المنبثقة من عينيها. ورد ببرود: «أحياناً».

ركزت نظرتها الزرقاء على وجهه تحس بتسارع نبضات قلبها. نسيت للحظة تجاوبها الصريح مع عناقه ولم تفكر إلا في الطريقة التي أثارته بها:

- كهذا الصباح عند قمة التل؟

ضاقت عيناه مفكراً، وكأنه يزن قوة الشَرَك الذي نصبته له. زاد شعاع النار من كثافة شعره الأشعث الأسود ومن قسوة ملامحه المتعجرفة المؤثرة:

ـ هل استمتعت به؟

ردت همساً: «وأنت؟»

اشتدت يداه عليها، يرفعها ليديرها إلى ذراعيه. جعلت صدمة تلامسهما، رأسها يدور، ويستند إلى ذراعه، أما شعرها الذهبي فانسكب على كتفه، فيما راح يمعن النظر في جمال وجهها بتعمد بطيء. تركت نفسها تسترخي بشكل واضح.

ثم أطبقت ذراعاه في آن واحد حولها، فجأة التهمتها تلك النار المتصاعدة التي نسيتها بطريقة ما، مرة أخرى. تحرك جرس إنذار صغير معلناً أنها تخسر سيطرتها على نفسها، وأن كونورواي سيغويها.

عند هذا الاعتراف، برزت قوة المقاومة. فشهقت شهقة قوية والتوت مبتعدة عنه، مستخدمة ذراعيها لتضع مسافة بينهما.

أمسكت أصابع قوية فكها ورفعت ذقنها إلى فوق.. ولكنها لم تجرؤ على ملاقاة عينيه خشية أن يأسرها لمعانهما الفضي. فنظرت إلى فمه البارد، الهادىء، المسيطر مقارنة مع ثغرها المرتعش ورقتها. تحركت الأصابع السمراء إلى عنقها حتى استراحت عمداً على كتفها.

قال بعجرفة: «أريدك».

أجل، إنه يريدها. إنما ليس بما فيه الكفاية. ليس بعد.. استقامت ثم خرجت من دائرة ذراعيه، ودنت من النار. شعرت به يراقب تصاعد صدرها وهبوطه فحاولت السيطرة على أنفاسها.

لم يتحرك كونورواي للحاق بها بل جلس مستريحاً غير منزعج. أجبرت نفسها على اللعب بقواعد اللعبة، تلك القواعد التي ستسمح لها بالفوز.

تنهدت ثم رمته بابتسامة خفيفة من فوق كتفها.

ـ يجب أن تعذرني كونورواي. أخشى أني انجرفت قليلاً.

ـ لماذا الاعتذار؟ لقد استمتعت.

قالت بصدق كامل، مع أن ما قالته يخدم غايتها:

ـ وأنا كذلك أكثر من اللازم، لا بد وأن ريف وغلوريا عائدان.. أتودّ كوب قهوة آخر؟

ـ لا بأس.

نسيت أن الوعاء على النار منذ مدة طويلة، وحاولت إمساكه دون الاستعانة بشيء.. ما كادت أصابعها تلامس مسكته حتى تركته بسرعة.

رمى لها منشفة ثم قال ساخراً:

ـ هكذا تحترق أصابعك.

كادت تقول له إن هناك أكثر من طريقة.. كانت جالسة على مسافة منه عندما عاد ريف وغلوريا.

ركع ريف أمام الإبريق:

ـ آه.. القهوة.

أمسك بالمنشفة قبل أن يحاول ملء كوبه ثم وجه سؤالاً إلى كونورواي، قبل أن يجلس على الأرض قرب النار جاذباً غلوريا إليه ضاماً إياها تحت ذراعه:

ـ أكان هذا صوت «كوجر» الذي سمعته منذ قليل؟

رد كونورواي: «أجل».

التفت إلى مارغ فرأى انتفاضتها، فسخرت منها عيناه ذلك أنها كانت صماء عن كل ما حولها وهي بين ذراعيه.

عبس ريف: «ألن ترتب حملة صيد للتفتيش عنه.. قد يُحدث

فوضى ودمار وقت وسم عجول الربيع.

- إنه حتى الآن يحصر صيده بالغزلان التي لا أبالي إن قتلها فبذلك لن تبقى أعداد كبيرة من الغزلان تنافس أبقاري في المرعى، وإن أقدم على تذوق لحم البقر قتلته.

ارتعدت غلوريا: «أرجو ألا يفعل هذا».

رد كونورواي بجفاء: «وأنا أيضاً. بالنسبة لي المزرعة كبيرة بما يكفي لكلينا. وأنا أحترم حق «الكوجر» في الحياة. وإن تمكنت أبعدته من المنطقة بدل قتله».

أحست مارغ بضيق يطبق على حلقها، لمجرد شعورها بأن كونورواي يعطف على حيوان مفترس أكثر مما يعطف على البشر. فهل صلته القوية بالأرض هي ما تجعله هكذا؟

في وقت لاحق من تلك الليلة وفيما هي نائمة في فراشها.. نظرت إلى النجوم، والسؤال ما يزال بدون رد. في كونورواي صفات كثيرة لا تفهمها. سخريته، قسوته، كراهيته لإقامة أية علاقة دائمة مع امرأة. ولكن هل هناك من مزيد؟ أما زال الصبي ابن الاثنتي عشرة سنة الحساس الوحيد مختبئاً في مكان ما في أعماقه؟

جعلت شمس الصباح مارغ تنسى كل تساؤلاتها التي لم تجد لها رداً في الليلة الماضية ولكن الردود في كل الأحوال غير هامة فما زالت مصممة على المضي قدماً بخطتها ولكنها باتت تدرك أن ما تلعبه لعبة خطيرة، وأن إغواء كونورواي بوعود إيحائية بعيداً عن الوفاء بها، أمر قد يخدم غايتها، ويجعل اللعبة أكثر إثارة..

عندما كانت غلوريا تصب الماء على ما تبقى من نار المخيم، كانت مارغ تحرك الفحم لتتأكد من عدم ترك شيء مشتعل، وكان ريف يسرج الجياد على بضع خطوات وكان كونورواي يحمّل

الأغراض فوق الجواد الإضافي.

أعلنت مارغ مبتسمة: «كل شيء على ما يرام».

دنت غلوريا بقلق منها تنظر إليها نظرات ريبة:

- ليلة أمس.. ليلة أمس رأيتك مع كونورواي.. ماذا تفعلين مارغ؟

بحثت عيناها في وجه مارغ بفضول وكأنها فقدت عقلها فردت مارغ:

- ما بدا لك تماماً.. أنا أغريه ليلاحقني، ألا تعرفين القول المأثور: «الرجل يطارد المرأة حتى تصطاده» حسناً.. أنا سأصطاد كونورواي.

سألتها وأنفاسها مقطوعة من فرط الصدمة: «هل وقعت في حبه؟»

ضحكت مارغ بخفة: «لا، أيتها السخيفة. لست غبية إلى هذا الحد. ولكنني سأدفعه إلى الموافقة على زواجكما قبل نهاية الشهر.. من المستحيل إقناع هذا الرجل بالمنطق، لذا ليس بيديّ إلا وسيلة الخداع العاطفية».

- آه مارغ.. أتظنين ذلك؟

- لا شأن للظن بهذا، لأنني سأسعى إلى إغوائه حتى يركع.

وقف ريف يمسك لجام جواد غلوريا منهياً بذلك الحديث بين الفتاتين:

- تعالي حبيبتي.. نحن على أهبة الاستعداد للعودة.

عندما دخل الأربعة إلى فناء المزرعة كانت الجبال غرباً تعكس توهج الشمس الغاربة. في أثناء رحلة العودة، لم تحاول مارغ التحدث إلى كونورواي أو ممازحته.. فعليها في هذه المرحلة أن

تظهر له أنها بعيدة المنال ولكن ذلك لا يعني أن تكون غير ودودة معه إن اقترب منها أو حادثها.

كان أحد عمال المزرعة موجوداً ليأخذ الجياد منهم. حالما ساعد كونورواي مارغ على النزول عن السرج ابتسمت له ولكنها تعمدت تجاهل بقاء يديه ثواني على خصرها بعد ترجلها.

قال ريف: أرجو أن تكون لوسيا قد حضرت لنا شواء كبيراً مع البطاطا والصلصة والمقبلات.

كانت ذراعه ملقية على كتفي غلوريا وهم يتجهون نحو المنزل.

قالت مارغ: «أرجو أن تكون قد جهزت لنا مغطساً من المياه الساخنة أما الطعام فلينتظر».

ضحك ريف: «بإمكانكما الاسترخاء في المغطس إن شئتما، أما أنا فسأستحم بسرعة، وآكل».

ضحكت غلوريا: «وأنا جائعة أيضاً».

رفع ريف حاجبه بشكل معبر أمام أخيه:

ـ هناك سيارة أمام المنزل.. آه! آه! يبدو أن عندنا زوار.

تعرفت مارغ إلى السيارة الذهبية والبنية.. إنها سيارة بيترا هاريس.. وهذا ليس بالضبط ما أرادت أن ينتهي عليه اليوم. نظرت إلى كونورواي فلمحت بريقاً في عينيه وهو يرقبها. إنه يتوقع رؤيتها محبطة. لكنها قالت عن عمد وعفوية: «لعلها تبقى على العشاء».

لوى كونورواي فمه: «سأسألها».

انتقلت عينا ريف بينهما.. لقد رأى ما رأته غلوريا الليلة السابقة.. وإن لم تكن غلوريا قد أخبرته، فهو بدون شك وضع لما رأى استنتاجاً خاصاً.

قال بجفاء: «يجب أن تكون هذه الأمسية مثيرة للاهتمام».

تبع تعليقه وخزة حادة في صدره من كوع غلوريا.

ما إن دخلوا إلى المنزل من الباب الخلفي حتى وجدوا المطبخ فارغاً، إلا من الروائح اللذيذة المنبعثة من الفرن. ومن ردهة المدخل سمعوا صوت بيترا. لم تستطع مارغ أن تفهم ما كانت تقول ولكن من الواضح أنها تتكلم مع لوسيا.

صاحت بيترا بغبطة عندما دخل الأربعة إلى الردهة:

ـ أوه.. كونورواي، هذا أنت.

حياها برقة: «مرحباً بيترا. لم أتوقع رؤيتك هنا».

ـ كنت على وشك الخروج، في الواقع. أخبرتني لوسيا أنكم خرجتم في رحلة. هل ذهبتم أنتم الأربعة فقط؟

ارتدت عيناها إلى مارغ وقد تطاير الشرر منهما.

ردت مارغ بابتسامة تحد: «أربعتنا فقط».

ـ يبدو أن رحلة العودة كانت شاقة إذ أراك تبدين متجهمة ومتعبة.

مياو! التقطت مارغ المرح المتطاير من عيني لوسيا آروز السوداوين، وحاولت ألا تجعل هذا الشرر المرح يدخل عينيها. فلا جدوى أن تكتشف بيترا أنها ولوسيا يضحكان منها.

قالت مارغ: «أنت على حق في كلا الأمرين».

دفعها شيطان خبيث للنظر إلى كونورواي ثم أضافت:

ـ مع أن الرحلة بكل تأكيد استحقت التعب!

امتدت ألسنة نار ملتهبة لفحت وجه مارغ، فعرفت أنها أثارت غيرة بيترا فعلاً وهذا ما عرفه كونورواي أيضاً إذ بدا في عينيه الرماديتين التسلية.

سأل: «لماذا جئت إلى هنا بيترا؟ أللعمل أم للتسلية؟»

خمدت النيران ما إن أدارت بصرها إليه: «العمل أساساً».

وأضافت بعينيها أن كمية العمل تعتمد عليه.

أضافت: أملت أن أتمكن من إقناعك بالمجيء إلى منزلي الليلة لتساعدني في مراجعة حساباتي.

لم يدهشه طلبها وهذا ما جعل مارغ تدرك أن ذلك أمر عادي، أو ستار لمزيد من المواعيد الحميمة.

قال: «أتناسبك ليلة الجمعة؟»

أرسلت بيترا ابتسامة باردة أشبه ما تكون بابتسامة نصر.

ـ الجمعة موعد رائع. سأذهب الآن لأترككم تنظفون آثار الرحلة بحرية.

اتسعت العينان الزرقاوان ببراءة: «ألن تبقي معنا على العشاء؟».

في لهجة مارغ رضى كامل لأنها أرادت قلب الطاولة في وجه بيترا، والتظاهر بأنها المضيفة هذه المرة..

أضافت: «أنا واثقة أن لوسيا قادرة على الإكثار من الطعام».

قال كونورواي: «أهلاً بك إن رغبت».

لاح على ثغره طيف تسلية، وكأنه يعرف ما تضم دعوة مارغ بين جنباتها.

ـ شكراً لك حبيبي. ولكنني أعرف أنكم على وشك الانهيار.. أراك مساء الجمعة.

* * *

٨ ـ امرأة سهلة المنال

انقضت نحلة بسرعة هائلة على رأس مارغ، فأحنته متجنبة إياها. رفعت يدها تحمي عينيها من شمس الظهيرة ونظرت مجدداً إلى الشاحنة المتوقفة قرب السياج. كان كونورواي فيها فاشتدت أصابعها على زجاجة المرطبات الباردة المفتوحة.

لم ترَ منذ الرحلة كونورواي كثيراً إذ كان بينهما عدد كبير من العوائق منها ما يتعلق بحيوان مريض ومنها ما يعود إلى عطل ميكانيكي وغير ذلك. ها هو الركود يهدد خططها إن لم تأخذ زمام المبادرة بيدها. ولعلها اليوم، يوم الجمعة تعمد إلى التأثير في كونورواي قبل أن يزور بيترا هذه الليلة.

لم تكن مارغ مهتمة، ستتمكن مع الوقت من التغلب على المنافسة التي تمثلها المرأة الأكبر سناً، فالمشكلة أن وقتها ضيق. فبعد أسبوع ينتهي الشهر.

أصبحت المسألة مسألة إن لم يكن ما تريد، فأرد ما يكون. من حسن الحظ أن كونورواي يصلح سياجاً قريباً من المنزل وهذا يعني أنها لن تجتاز مسافة طويلة للوصول إليه.

ما أن اقتربت من الشاحنة حتى مررت يداً على أطراف كنزتها الطويلة التي ربطت أطرافها حول جيدها. كانت البلوزة ظاهرياً مربوطة بسبب الحرارة اللاهبة ولكنها في الواقع أرادت بذلك جذب

اهتمامه إلى استدارة خصرها ورقته.

قالت: «مرحباً! أتجهد نفسك بالعمل؟»

استقام كونورواي عن السياج، ونظر من فوق كتفه وقد ومض بريق غريب في عينيه.. وقفت مارغ قرب الشاحنة، الدنيا تدور بها للحظة، بعد ما وقع نظرها على جذعه البرونزي الملتمع بالعرق.

ـ هل ستقومين بنزهة؟

في سؤاله درجة لا يستهان بها من السخرية.

خلع قفازاً جلدياً ثم تحرك بكسل نحو الشاحنة ونحو مارغ، كانت عيناه منصبتين على زجاجة المرطبات في يدها.

أحست بطنين غريب في أذنيها لم تستطع تفسير سببه. فحولت اهتمامها بسرور إلى الزجاجة، بعيداً عن تأثيره المغناطيسي..

أرجعت رأسها إلى الخلف توحي بعدم اكتراث متهور.

ـ أجل.. أحسست بالضجر ففكرت في التنزه قليلاً. وبما أن لا مكان محدد أقصده فكرت في حمل زجاجة مرطبات باردة إليك، فالحر شديد اليوم.

استند إلى الشاحنة قربها ثم وضع قفازه وكماشته في مؤخرة الشاحنة وبعد ذلك أتى ليتناول زجاجة المرطبات الباردة منها:

ـ هذا حسن تقدير منك!

ابتسمت: «أحاول أن أكون مفيدة».

حاولت اختراق قناع عينيه الضبابي بسبب رده الجاف.. فقد يكون كونورواي غامضاً في بعض الأوقات.

راقبته يفتح الزجاجة ويرفعها إلى فمه.. عندما أرجع رأسه إلى الخلف أمعنت النظر في خطوط عنقه السمراء وعروق أوتاره المتحركة القوية.

مسح الزجاجة من أثر فمه، وأعطاها إياها.

ـ خذي جرعة، فلا شك أنك ظمأتِ بعد اجتيازك هذه المسافة.

تشعر فعلاً بجفاف وضيق في حلقها لذا قبلت الزجاجة ورفعتها إلى شفتيها.

سألها، وأصابعه تلامس أصابعها وهو يتناول الزجاجة منها:

ـ أين غلوريا؟

ـ في المنزل.

أحست باضطراب، فأشاحت بصرها عنه متظاهرة بالاهتمام بصورة مرسومة على صفحة سماء زرقاء واسعة. وراقبتها عيناه بصمت فشعرت بأن المجيء إليه غلطة فادحة.

قالت: «أعتقد أن عليّ تركك لتعود إلى عملك».

قال بصوت لطيف: «ليس الآن».

نظرت بدهشة إلى معصمها الذي أصبح فجأة أسير يده..

تمتمت: «جئت فقط من أجل جلب المرطب. فكرت لوسيا أنك بحاجة إلى ما هو بارد».

ارتفع حاجبه متسائلاً:

ـ لوسيا؟ يبدو أن ذاكرتها بدأت تضعف وإلا تذكرت برّاد المرطبات الصغير الذي أرسلته معي؟

اللعنة! لماذا سمحت لنفسها بالوقوع في فخ كذبتها؟ إنها غلطة لا ترتكبها مراهقة.

قالت وهي تحاول التملص:

ـ ربما أسأت فهمها.. على أي حال، أنا ألهيك عن عملك.

ـ وأنا لا أعترض.

وضع الزجاجة نصف الفارغة في الشاحنة ثم ضغط قليلاً على

www.elromancia.com

معصمها يجرّها نحوه.

كان من المفروض أن تكون المبادرة إلى أي عناق، إنما ليس بهذه السرعة. تركت ساقاها تحملانها إليه على مضض لذا لمّا أوقفها على بعد قدم منه كادت تتنهد.. في تلك اللحظات ضجّت أحاسيسها بصخب بسبب قربها منه واحتاجت إلى بضع ث وان لتتمالك نفسها قبل أن يبلغ بهما الحد حد العناق. اضطرتها قامته المديدة إلى رفع رأسها إلى الخلف لتلتقي نظرته المتعجرفة:

ـ كونورواي.. أنا..

لامست يده خدها، فتوقفت كلماتها. قال لها متمتماً بتسلية ساخرة:

ـ كم رجل قال إن عينيك بلون السماء؟ سماء مونتانا.. زرقاء حية.. تجذب الرجل وتعد بأن وراءها الكثير الكثير.

ما إن تحرّر معصمها حتى أحست بيده على خصرها.

ـ أرجوك!

تغلب على محاولتها الظهور بعدم الاكتراث الانقباض في صوتها..

قال لها بإيحاء ساخر:

ـ ألم تأتي إلى هذا المرج حتى تهبيني بعض العسل يا فراشتي؟

شهقت شهقة صغيرة وحاولت الابتعاد عنه. ولكن يده التفت تحت شعرها. وشدت رأسها إليه. ضمها إليه ضمة عميقة حتى تفجرت أغنية بريّة مجنونة في قلبها.

تسارعت أنغام الأغنية ودارت في عروقها..

شدته إليها مجدداً. ولكن أصابعه أطبقت على معصميها، وشد يديها بحزم يبعدهما عنه، ثم قال بصوت أجش:

ـ آسف يا فراشتي.. لكن هناك من يوشك أن يصبح معنا.

نهض بسرعة ثم نظر إلى الأعلى. مضت عدة ثوان قبل أن تفهم معاني كلماته ذلك أن مشاعرها هي ما سيطر كلياً عليها. سمعت هدير محرك سيارة، فوقفت مشتعلة الوجنتين تفتقر إلى السيطرة على نفسها ولكنها استطاعت الاستدارة لترتب ثيابها.

ما كادت تنهي ما تفعل، حتى توقفت سيارة الشاحنة. والتفتت مارغ مرتبكة.. فأرادت الصراخ بإحباط في وجه بيترا هاريس..

استندت بيترا إلى باب سيارتها وأصابعها ملتفة كالمخالب البارزة على المقود.

ـ هل قاطعتكما كونورواي؟

هز كتفيه وهو ينظر ساخراً إلى وجه مارغ الممتقع:

ـ بالإمكان الانتظار. هل من خدمة أسديها لك؟

ـ أردت تذكيرك بموعدنا الليلة.

كانت الكلمات موجهة إلى كونورواي ولكن الكراهية في عينيها كانت لمارغ.

أكد لها كونورواي بعذوبة وفي عينيه بريق حميم أسود: «لم أنسَ».

قالت بيترا: «لماذا لا تأتي باكراً؟ أدعوك على العشاء».

وافق بتحفظ: «حسناً».

كوفيء بابتسامة تصيب بالدوار.. ولكن الغثيان قلب معدة مارغ.

www.elromancia.com

تمتمت بيترا، ثم عادت إلى السيارة، تعدها للإقلاع.

ـ لن أعطلك عما كنت تفعل. هل أقلك إلى المنزل مارغ؟

ردت مارغ ببرود: «لا، شكراً. أفضل السير على قدميَّ».

التوى الفم المرجاني الأحمر استياءً: «كما تشائين».

هزت رأسها مودعة، ورمت كونورواي بقبلة، ثم شغلت السيارة وعادت من حيث أتت.

سألها كونورواي بعذوبة مثيرة: «ستعودين الآن؟»

ردت بتصميم: «أجل، فوراً».

ـ أقترح عليك إذن قبل العودة أن تربطي بلوزتك مجدداً.

أكدت نظرة إلى مقدمة بلوزتها كلامه.. لا شك أن عيني بيترا الحادتين قد لاحظتاها أيضاً.

ردت بتحد رافضة إظهار إحساسها بالذنب:

ـ شكراً.. سأفعل هذا.

لكن الإحساس بالذنب طارد خطواتها. لقد رغبت في إطباق الفخ حول كونورواي ولكنها لم تتوقع أن يوقظ في داخلها هذه المشاعر. أحست بصدق أن ثقتها بنفسها باتت مهزوزة بشكل سيء.

لم يكن كونورواي على مائدة العشاء عندما دخلت إلى غرفة الطعام مع غلوريا وريف.. وتركت الأمر للوسيا أن تشرح مكان وجوده.. فقد كرهت ذكر لقائها به بعد ظهر ذلك اليوم، وتجنبت نظرة التساؤل في عيني لوسيا.

كانت الوجبة الممتازة بلا طعم ولكن مارغ أجبرت نفسها على تناول كل ما في طبقها لأنها لم تكن مستعدة إلى مواجهة الأسئلة عن شهيتها. بعد الوجبة انزوت في زاوية غرفة الجلوس مع كتاب، تاركة لغلوريا وريف بعض الخلوة النسبية.

كانت أفكارها مشوشة ومرتبكة لذا لم تستطع التركيز على ما تقرأ بل لم تستطع التركيز إلا على شيء واحد وهو صورة المرأة النحاسية الشعر المعلقة فوق الموقد.. إنها فراشة مثلها.

فجأة أحست بالتململ والضجر، فأقفلت الكتاب وقالت بصوت مرتفع جذب أنظار ريف وغلوريا:

ـ سأذهب لأرى إن كانت لوسيا بحاجة إلى مساعدة في المطبخ.

لكن المطبخ كان نظيفاً، ومدبرة المنزل غير موجودة.. فكرت في التنزه قليلاً وتراجعت نحو ردهة المدخل الخلفية.

وهناك اجتذبها باب موصد. كانت تعرف أنها غرفة كونورواي، فقد دلتها عليها لوسيا مرة، ولكن مارغ لم تدخل إلى الغرفة يوماً. تعاظم فضولها وسيطرت عليها حاجة ملحة إلى رؤية غرفته.

فتحت الباب بحذر ودخلت إلى الغرفة، تلمس زر النور.. نظرت بصمت إلى الغرفة، شاهدت السرير المنفرد والطاولة الصغيرة إلى جانبه، وخزانة الأدراج وكرسياً مستقيمة الظهر.

لم تتوقع هذه البساطة كلها خاصة إذا ما قورنت بأناقة الغرف الأخرى، إنها أشبه بغرفة راهب. أغلقت الباب بهدوء رغم علمها بأنها تتطفل على ما لا يخصّها.. ولكنها غير قادرة على الخروج.

غريب هذا الرجل، تقدمت نحو السرير الضيق وهي تتساءل لماذا اختار إبعاد نفسه عن ترف الحياة ومباهجها التي يوفرها للمنزل. أينام هنا ليحافظ على قسوته؟ هل بتجنب اللمسات النسائية الرقيقة التي لاحظتها في سائر أرجاء المنزل؟

لمست كتاباً عن الزراعة على طاولة السرير. ابتسمت لنفسها،

إنها مجنونة لأنها دخلت إلى هنا.. فالغرفة لا تكشف عنه أكثر مما يكشفه هو بنفسه، لقد توهمت عندما ظنت العكس.

جلست على حافة السرير بدون أن تدرك ما تفعل. كان الفراش قاسياً ثابتاً إنما غير متحجر.

شدّت حركة انتباهها، فتسمرت في مكانها من الخوف. رأت مسكة الباب تتحرك فحبست أنفاسها وتضرعت إلى الله أن يكون الداخل لوسيا، فالوقت مبكر على عودة كونورواي. لكن كتفيه العريضتين، وجسده النحيل الخصر هو من سدَّ المدخل.. التقت عيناه الرماديتان بعينيها الزرقاوين المذهولتين.. كان قلبها قد بلغ حنجرتها فلم تستطع التفكير في سبب معقول واحد تقدمه كعذر على وجودها في غرفته..

تمتم وهو يدخل إلى الغرفة التي أقفل بابها وراءه:

ـ هذه دعوة غير متوقعة.

اشتعلت الحرارة على وجنتيها، بعدما وعت فجأة أنها جالسة على سريره. أسرعت تقف فقال ساخراً:

ـ لا حاجة للوقوف.. كنت سأنضم إليك.

تمتمت بارتباك: «كنت على وشك الخروج».

ـ لا حاجة بك إلى ارتداء ما هو مريح.

تفرست عيناه الفولاذيتان بتركيز كسول، فتوقفتا على ثغرها المرتجف، ثم على العرق النابض في عنقها وأخيراً على فتحة ياقتها، فارتفعت يدها تحمي الفتحة.

قالت تحتج بارتباك: «أنت.. لا تفهم. لم أتوقع عودتك بسرعة. ظننتك.. أعني.. بيترا..»

ولكنها ببساطة لم تستطع صوغ كلمات تشير إلى ما قد يفعله هو

وبيترا.

لمعت أسنانه البيضاء ولاحت ابتسامة الذئب على شفتيه:

ـ بعدما جرى اليوم أتظنين أنني أفضل خربشة قطة غيور على رفرفات ناعمة من فراشة؟

تسارعت أنفاسها بشكل غير سوي:

ـ لا! أعرف أنك ستسيء الظن بي لأنك وجدتني في غرفتك.. لقد دخلتها فقط بدافع الفضول. لم يخطر على بالي شيء مما تظن.. أقسم لك.

اشتدت خطوط فمه عمقاً.

ـ لا تزعجي نفسك بتوجيه هاتين العينين الزرقاوين البريئتين إليّ، أو الإنكار، إن السبب من وراء سعيك إليّ ظهر. إنه ترسيخ صورتك في تفكيري قبل أن أذهب لزيارة بيترا.. لقد عدت للتلاعب مجدداً مارغ..

فتحت فمها تريد الاعتراض على ما يقول. لكن الأمر لن يجدي، ففي أعماقها مشاعر كثيرة تعتمل بقوة.

طأطأت رأسها لتبعد عينيها عنه حتى تستطيع التوجه إلى الباب:

ـ أعذرني.. إنما يجب أن أنصرف.

وقف كونورواي في طريقها فسد عليها الممر.

ـ ما اللعبة الآن؟ أتلعبين لعبة المرأة الصعبة المنال؟

ـ أنا لا ألعب.. أرجوك دعني أخرج.

كان هناك مجال لتتخطاه ولكنها لم تثق به.

ضحك عليها بصمت وبانت التسلية في عينيه.

ـ هكذا إذن.. تدخلين ببساطة إلى غرفتي، يجذبك الفضول.. والآن تريدين الطيران بعيداً، تاركة إياي مع صورتك وأنت بانتظاري

www.elromancia.com

على سريري.

ابتلعت ريقها بشدة: «كونورواي.. أرجوك!»

لا فائدة من تبادل الكلمات معه.. عليها أن تنجو قبل أن يرتدّ عليها. في هذه اللحظات لم تكن مستعدة للتعامل مع كونورواي أو مع ردات فعلها المرتبكة نحوه.

اتجهت بساقين مرتعشتين إلى الباب.

عندما أصبحت على مسافة منه كتمت أنفاسها ثم انتفضت حالما تحركت يده ولكن تلك اليد لم تمتدّ إليها بل امتدت إلى زر المصباح المعلق فوق الرؤوس فأطفأته فكان أن غرقت الغرفة في ظلام دامس.

أوقفها فعله المفاجيء وعماها المؤقت فعجزت عن الحراك.

كان صوته الهامس على مقربة شديدة منها، ناعم مغري.

ـ إن التقطت فراشة فأمسكها من جناحيها.

شهقت لأنه أمسكها بكتفيها.

ثم صاحت بأنفاس مقطوعة: «اتركني».

خافت من مشاعرها التي تدفعها إلى الاستناد إلى صدره مستسلمة.. حاولت تحرير نفسها من قبضته.. ولكنه استغل حركتها وأدارها إليه.

توسلت إليه ونفضت إلى الوراء شعرها الذهبي الطويل فزاد من ضغط يديها على صدره:

ـ لا.. أرجوك.

ضحك فسرت قشعريرة إلى أوصالها.

قال: «أليس هذا ما خططت له مارغ؟»

زادت أنفاسه الحارة من حرارة بشرتها، فقالت هامسة بيأس:

ـ لم أخطط لهذا.

بدأت عيناها تعتادان على الظلام.

قال كونورواي: «ألم تخططي لإشعال رغبتي فيك؟».

سحبت نفساً عميقاً فأضاف:

ـ أعرف أنك خططت لهذا. كانت الفكرة في فكرك منذ لقائنا الأول. كل ما فعلته كان مدروساً لتعميني مشاعري وما السبب إلا التلاعب بي وإركاعي لتأخذي بعد ذلك ما تريدين وتطيرين.

شهقت مجدداً: «لا».

أرجعت رأسها إلى الوراء محاولة مرة أخرى أن تتخلص من قربه المثير للاضطراب.. وانفتحت أهدابها المغمضة بقوة، تركز بصرها على قسماته القاسية.. فكان ما رأته عينين نصف مغمضتين تنظران إلى وجهها المرتفع نحوه بناز فضية خطفت منها أنفاسها.

تمتم تمتمة عميقة:

ـ تبدين إلهة وثنية بهذا الثغر المكتنز وبهاتين العينين المتطايرة منهما شرارات النجوم.

ـ أرجوك!

ما إن التفت أصابع يده وراء عنقها حتى عرفت أنها لن تتحمل فبدأت تقاوم ما هو قادم ولكن اليد الثابتة وراء عنقها لم تسمح لها بتجنبه.. ارتدت قبضتاها المنهمرتان على صدره بدون أن تحدثا ضرراً.

همست: «لا أستطيع..»

كانت أفكارها مشوشة.. ما الذي لا تقدر عليه؟ هي لا تقدر على التوقف! لا تقدر على التفكير أو التنفس بل لا تقدر على العيش بدون نيران لمساته المجنونة!

www.elromancia.com

أنهت كلامها بآهة وتنهيدة: «أنا مجنونة».

ارتدَّ رأسه عنها ولكن أصابعه تابعت تسللها إلى عنقها، ثم تمتم بصوت أجش:

ـ هكذا أريدك. أريد أن تنجرفي حتى الجنون وحتى تصبحي غير قادرة على التفكير في أحد سواي. أريد أن تحترق جناحاك لئلا تستطيعي الطيران قبل بزوغ الشمس.

سحبت مارغ أنفاسها بحدة، تعرف أنها لا تريد أبداً أن تطير، ولكنها تدرك أن الاستسلام إلى مشاعرها الجنون عينه.

قالت معترضة: «غلوريا.. ريف..»

أصمتها مجدداً بدفن وجهها في صدره حتى توقفت عن الاهتمام بغلوريا أو بريف.. بعد ذلك أجابها:

ـ إنهما يستمتعان بالخلوة التي دأبت على تأمينها لهما. لذا لن يفتقداك. أشك في أن يتوقع ريف عودتي باكراً الليلة.

هزت رأسها بوهن ثم طأطأت رأسها مجدداً عندئذ استراحت شفتاه على شعرها.

ـ كونورواي.. أنا..

ابتعد دعم جسمه القوي عنها فترنحت ومالت إليه. لكن حركتها توقفت حالما تسللت ذراعه لترفعها في الهواء ولتضمها إلى صدرها.

عندما حملها إلى السرير تسلل بصيص من نور النجوم إلى وجهه فرأت خطوط وجهه مطبوعة بشراسة وهذا ما خطف أنفاسها.

كان وجهه في الظل ولكنها عرفت أن العينين الرماديتين تتفرسان بها كما علمت أنها الفرصة الأخيرة للاحتجاج ولكن بدل الاحتجاج سمحت لأصابعها باستكشاف ملامحه.

ـ مارغ؟

حاول صوت مألوف اختراق حلمها.. فتحرك رأسها معترضاً.

ـ مارغ؟ أين أنت؟

صاحت باختناق لتمنع هذا الذي يريد تبديل حلمها.

ـ لا؟

غطت أصابع كونورواي القوية ثغرها بخفة:

ـ هس..

جعلها اعترافه غير المباشر بالصوت الذي ناداها تدرك أن الحلم بدأ يتلاشى.

ـ مارغ؟

استطاعت الآن التعرف إلى صوت غلوريا الذي ما يزال على مسافة منها، لكنه يقترب:

ـ أين يمكن أن تكون؟

قال ريف: «قالت إنها ذاهبة إلى المطبخ، أليس كذلك؟»

جاء الرد المضطرب المخنوق:

ـ أجل، لكنها غير موجودة هناك.

عاد التعقل إليها مجدداً، فحاولت التحرر من قبضة كونورواي ولكنه أوقفها بسرعة.

ـ لا.. فأنت تعلمين علم اليقين أنك لا تريدين الذهاب.

كان صوته الآمر قرب أذنها..

قال ريف: «ربما خرجت تتمشى».

ـ تخبرني عادة بتحركاتها.. آه ريف.. فلنتأكد.

بدأ وقع الأقدام يسير نحو الردهة التي تمر بغرفة كونورواي. أخذت يدا مارغ تدفعان بجنون جدار صدره الصلب. وهمست

يائسة:

- سيجدوننا.

- لن يفتشا عنك هنا.

- لا.. لا..!

قال ريف: ربما هي في غرفتها.

وصل وقع الأقدام قرب باب غرفة النوم..

ردت غلوريا: «فلتتأكد في الخارج أولاً».

- إنها امرأة ناضجة تستطيع العناية..

ضاعت كلمة بنفسها وراء الباب.

تمتم كونورواي: «قلت لك إنهما لن يجدانا هنا».

تأوهت مارغ: «ولكنهما لن يتوقفا عن البحث.. أرجوك دعني أذهب».

- لا..

أطبقت أصابعه على ذقنها لتمنعها من الحراك ثم عاد يعانقها فأرسلها عناقه من جديد إلى عالم الأحلام.

اخترقت تكتكة قفل الباب حلمها من جديد وأبلغها توتر عضلات كونورواي أنه سمع التكتكة هو أيضاً، ولكنه لم يرفع رأسه، ولا سمح لها بالحركة.

سمعا لوسيا تقول وهي واقفة في الباب:

- كونورواي.. إنهما يبحثان عنها.

استرخت قبضته عنها ثم ومضت عيناه وهما تنظران إلى عينيها المتوسلتين اللتين طغى عليهما الخجل.

قال كونورواي بلهجة آمرة:

- أخرجي من هنا لوسيا.

انتزعت عينيها عن وجهه والتفتت إلى مدبرة المنزل.. كان جسمها الممتلىء يبدو طويلاً بفعل النور المتدفق من الردهة.. تحركت حنجرتها المتشنجة ولكنها عجزت عن نطق أية كلمة.

تنهدت لوسيا بقناعة ثابتة: «لن تفعل هذا كونورواي».

سخر بعجرفة: «ولِمَ لا؟ السيدة أكثر من راغبة».

- دعها تذهب.

ابتسم ببرود لمارغ:

- لها أن تذهب، إنها حرة..

وابتعد عنها، وأكمل:

- هذا إن كانت تريد حقاً أن تذهب.

وقفت على قدميها تكاد تتعثر في مشيتها ولكن كانت خطوتان فقط هما ما استطاعت القيام بهما فقد علقت ذراعها بقبضة مؤلمة دفعتها من جديد إلى صدره حيث استراح رأسها على كتفه وعادت غير قادرة على إنكار المشاعر التي تبعثها فيها لمسته.

حذرت لوسيا بصوت منخفض: «كونورواي».

قاطعها بصوت هامس ينذر بالشر، وقال بوحشية:

- لا.. لا يمكنها الذهاب.. يعرف كلانا أنني لم أكن أغويها.. بل هي من سمحت لي بذلك فمنذ قدومها إلى المزرعة وهي تدأب على دعوتي إلى مغازلتها ثم تتعمد التراجع لتستطيع التلاعب بي.. تعرف أنني أجدها جذابة كحال أي رجل آخر، وتنوي استخدام هذا التجاذب لتحصل على ما تريد.. أليس هذا صحيحاً مارغ؟

لم يكن لديها القدرة على الإنكار فاعترفت بصوت هامس أجش:

www.elromancia.com

ـ أجل . . أجل . . هذا صحيح .

قال بسخرية لسعت كبرياءها بقوة .

ـ لكنني لم أصبح ألعوبة في يدك بل أنا آخذ ما أريد . . وحالما أنتهي منه أرميه بعيداً .

ثم تركها قبل أن يدفعها نحو الباب حيث تقف لوسيا :

ـ اذهبي الآن ولكنني لم أنتهِ منك .

تقدمت مارغ إلى الأمام متعثرة . ولكن لوسيا عقدت ذراعها لتدعمها ثم اقتادتها إلى الخارج .

قالت لوسيا : «سأرافقك إلى غرفتك» .

أحست مارغ فجأة بمظهرها الأشعث ، كانت ثيابها تكشف بوضوح ما جرى ولا ريب أن شفتيها متورمتان ووجهها متورد بقوة . تعرف أنها تبدو كامرأة كانت في فراش رجل . .

استرقت نظرة إلى مدبرة المنزل متسائلة عما تظنه بها هذه المرأة الفخورة بها . لقد صدق كونورواي عندما قال انها ما فتئت تغويه ولكنها لم تنو الوصول إلى هذه المرحلة . أرادت تأجيج رغبته فيها حتى يذعن لما تريد .

عندما وصلتا إلى الغرفة لمحت مارغ العطف اللطيف في عيني لوسيا السوداوين . . فشعرت بالخزي والعار فهي لا تستحق أبداً رجاحة عقل هذه المرأة وتعاطفها .

أشاحت بوجهها عن نظرة مدبرة المنزل القلقة :

ـ أنا على ما يرام .

اقتربت إلى الأمام بعيداً عن دعم تلك المرأة .

ـ هلا أخبرت غلوريا أنك رأيتني هنا وأنني مصابة بصداع .

هزت لوسيا رأسها :

ـ لن أسمح لأحد بإزعاجك . لن أسمح لأحد مهما كان .

قصدت بـ «لا أحد مهما كان» كونورواي أيضاً . ولم تكن لتشك في أن المرأة تنوي فعلاً حراستها من نفسها ومنه . ما إن خرجت لوسيا حتى دفنت مارغ وجهها بين يديها . . صدمتها سخرية الموقف بقسوة . لقد طاردته طوال الوقت ولكنه هو من اصطادها وهي من ركعت على ركبتيها .

لم تفكر قط أثناء تخطيطها في إركاعه ، في أنها ستقع رأساً على عقب في حب كونورواي . نعم هذا ما حصل لها بالضبط . . لقد وقعت في حبه .

لم يكن ما جرى الليلة نتيجة مشاعر جسدية بحتة بل كان حباً مجنوناً غبياً ، مؤلماً .

* * *

٩ ـ الفراشات تهاجر بعيداً

حدقت مارغ إلى القرص الذهبي المتصاعد من الأفق الشرقي.. كانت عيناها الزرقاوان تشعان ألماً وعلى لحاظهما بقع حمراء ليس سببها الدموع لأنها لم تستطع البكاء ولو بدمعة واحدة تريح ألم قلبها.

كان سبب احمرار عينيها الإرهاق فهي لم تنم.. بل لم تحاول أن تنام فما زالت ترتدي الملابس نفسها، وما زالت تذرع الغرفة بغير هوادة. كانت أحياناً لا تفكر إلا في ما شعرت به بين ذراعي كونورواي.. وفي أحيان أخرى كان تفكيرها يتسارع بجنون للوصول إلى طريقة تدفع بها كونورواي إلى أن يحبها.. ولكنها رفضت كل الأفكار في النهاية، فهل سيقرأ أفكارها كما قرأ مناوراتها؟

سمعت طرقاً خفيفاً على الباب، فارتدت عن النافذة. ليس الطارق غلوريا لأنها ستستخدم الباب المشترك. أما ريف فلن يطرق عليها الباب أبداً!.. أهي لوسيا؟

نادت بصوت مرتجف: «من.. من الطارق».

جاء الرد: «كونورواي».

انتاب قلبها خفقان ملؤه الفرح والسرور. أرادت أن تطير إلى الباب لتفتحه على مصراعيه ولترتمي في أحضان كونورواي..

ولكنها دست قبضتها في فمها. ثم قالت وهي تعض أصابعها:

ـ اذهب من هنا.

تحركت مسكة الباب.. ولكنها لسبب مجهول أقفلته في الليلة المنصرمة. أحنت الآن رأسها حامدة ربها على ما فعلت.

ـ لن يوقفني باب موصد مارغ.. فافتحيه!

لم يكن تهديداً اعتباطياً.. مع ذلك ترددت قبل أن تتقدم لتفتح الباب. الحل الآن في سيطرتها على نفسها.. يجب أن تحافظ على هدوئها وسيطرتها على ذاتها يجب ألا تفضح أمامه مشاعرها وحبّها له.

وقفت مرة أخرى في النافذة.. دخل الغرفة ثم أغلق الباب وراءه.. كانت مارغ تنظر إلى الخارج بدون أن ترى شيئاً.

ـ ماذا تريد؟

ـ ما دمت لم تستطيعي النوم ليلة أمس، فلماذا لم تنزلي؟

نظرت من فوق كتفها بحدة، في اللحظة التي ارتد فيها كونورواي عن السرير الذي لا يحمل أثراً للنوم. أسرت عينان باردتان نظرها.

صاحت بحدة وفظاظة بسبب ملامحه المتعجرفة:

ـ اتركني وشأني كونورواي!

ثم سحبت نفساً عميقاً لتسترد رباطة جأشها التي هي بأمس الحاجة إليها الآن.. مع ذلك بدا لها أن الطريقة الوحيدة لإخفاء حبها له هو إطلاق العنان للغضب.

رد بسخرية باردة: «ليس بعد.. جئت أقول لك ان بإمكانك نقل أغراضك إلى غرفتي ابتداء من هذا الصباح». سأشتري سريراً مزدوجاً، وخزانة أخرى».

www.elromancia.com

ارتدت عن النافذة ببطء والصدمة تجتاح وجهها. قالت وهي تكاد تعجز عن التنفس: «ماذا؟»

ارتفع حاجبه:

- أوضحت الأمر فلست ممن يتسلل ليلاً ليشارك المرأة التي يريد فراشها.

تحركت يداها إلى خصرها بتحد:

- إذن أنت ترتب لي أمر مشاطرتي فراشك؟

أصبح فمه خطاً ساخراً:

- وفري علي تظاهرك بالسخط. إن صديقتك غلوريا امرأة مدركة لوقائع الحياة. ولا شك أنها تجد الأمر غير محتشم ولكنها في الوقت نفسه ستراه رومانسياً وإن أردت أشرح لها وريف الأمر بنفسي.

- وماذا ستشرح لهما؟ إنني شريكة فراشك الجديدة؟ أريد أن أعرف ما المركز الذي تعرضه عليّ.

ارتد الرأس المتعجرف إلى الوراء وضاقت العينان الرماديتان الصافيتان ثم قال: «اختاري التصنيف الذي تريدين».

اجتاحت السخرية الباردة قلبها، فخففت عنها ألمها، ولو مؤقتاً:

- وما هي مدة هذا المنصب؟ حتى تسأم مني؟

قال بصوت فيه شيء من الازدراء:

- لن أضع حدوداً زمنية يا فراشتي.. من يسأم من الآخر أولاً ينسحب.

- هكذا إذن.. وهل تتوقع مني أن أقع رأساً على عقب شوقاً إلى قبول عرضك؟

تقدم منها ووقف أمامها بحيث أصبح عليها أن تثبت في مكانها ولا تتراجع.

مد يده ليلمس وجنتها الناعمة كوريقات وردة جميلة فأحست بشيء يذوب في داخلها من جراء لمسته ولكنها قسّت قلبها لئلا تتجاوب بشكل ظاهر.

ذكرها بصوت هامس: «كنت أكثر من راغبة ليلة أمس».

جعل بريق عينيه قلبها يتخلى عن خفقة من خفقاته ولكن التردد الذي لازمها طوال الليل بالنسبة لما يجب عليها القيام به تلاشى، فأمام هذه الظروف هناك أمر واحد تفعله..

اعترفت بهدوء: «أجل، كنت راغبة ليلة أمس».

تحرك فمه باكتفاء ورضى:

- أتريدين أن أرسل لوسيا لتساعدك في توضيب أغراضك؟

ابتعدت مارغ عن اليد التي لم تبرح وجنتها ووقفت في منتصف الغرفة.. ضمت يديها إلى الأمام ثم رفعت رأسها لتلتقي نظرته.

قالت بهدوء غريب:

- أرجوك، أرسل إليّ لوسيا. أريد توضيب أغراضي والخروج من هذا المنزل في أسرع وقت ممكن.

أطبق صمت مشحون مطبق على الغرفة. ضاقت نظرته قليلاً، قبل أن يطلق كلمات ملؤها السخرية والاستهزاء:

- وهل ستطيرين بهذه السرعة يا فراشتي؟

- ثمة شيء واحد أريده قبل أن أطلب منك مغادرة غرفتي.. أريد أن توافق على زواج غلوريا وريف.

تقدم مرة أخرى ليقف أمامها ولكنه في هذه المرة لم يلمسها بل ركز نظره على قطرة كريستالية تهدد بالتسلل من بين رموشها

www.elromancia.com

الذهبية.

قال ساخراً: «دموع؟ إنها أقدم حيلة في قاموس النساء. لا ريب أنك تفتشين تفتيشاً عميقاً في جعبتك للخروج بهذه الحيلة!»

نظرت إلى يديها وهي غير قادرة على ملاقاة نظرته:

ـ أعرف أنك تجد دموعي أمراً مسلياً.. فلا أظنك قادراً على الإحساس بشيء عدا حاجاتك البدائية.

سحبت نفساً عميقاً قبل أن ترفع إليه بصرها:

ـ أنت لا تعرف أخاك حق المعرفة أيضاً. فلو كنت تعرفه لعرفت أنه يملك مشاعر عميقة.. إنه يهتم بأمرك، لكنه لن يسمح لك بالوقوف في وجه سعادته. قد تهدده بالمال أو بغيره، ولكنه في النهاية سيتزوج غلوريا، وسيكرهك. ربما لا تهتم لأن العائلة لا تعني لك شيئاً..

رد بحدة: «هل أنهيت تدخلك؟»

ارتدت عنه إلى الأمام.. وبرودة رهيبة في قلبها:

ـ أجل. هلاّ خرجت الآن؟ و.. أفضل ألا أراك ثانية قبل أن أرحل.

رد بسخرية: «أصبحنا اثنين».

صفق باب غرفة النوم، فتدحرجت دمعة من بين أهدابها.. مسحتها مارغ مصممة.. لن تبكي خاصة وهي تقوم بالأمر الوحيد الصائب. توجهت نحو الخزانة، وسارعت بإخراج ثيابها. بعد دقائق قليلة وصلت لوسيا فساعدتها دون أن تسألها شيئاً.

كانت آخر حقيبة قد أقفلت عندما سمعت طرقة على الباب. لم تستطع مارغ الحراك خشية أن يكون القادم كونورواي، فينهار قرارها بالرحيل. لكن، حينما فتحت لوسيا الباب كان ريف الواقف هنا.

قال بهدوء: «طلب مني كونورواي أن أصحبك إلى ديارك حالما تجهزين. لقد أخبرني أنكما تشاجرتما».

ولكن عينيه اللوزيتين أوحتا بأنه يعرف أن الأمر أكثر تعقيداً مما يبدو.

مررت يداً مرتجفة فوق جبهتها، ونظرت بسرعة إلى الباب المشترك مع غلوريا:

ـ أجل.. أنا مستعدة.

قال ريف: «سأشرح الأمر لغلوريا إن رغبت في الرحيل فوراً».

نظرت إليه شاكرة: «شكراً لك ريف.. وأنت أيضاً لوسيا».

احتضنت مدبرة المنزل بسرعة قبل أن تلتقط حقيبة صغيرة وتهرع نحو الباب.

لحق بها ريف، ثم نظر إلى لوسيا:

ـ عندما تستيقظ غلوريا..

ابتسمت لوسيا بلطف:

ـ سأقول لها إنك ستشرح لها الأمر حين عودتك.

* * *

تطير الفراشات عادة بعيداً بدون إعادة النظر إلى الوراء أبداً ولكن مارغ لا تشعر بأنها فراشة..

أبعدت قدمها عن دواسة السرعة ثم داست بلطف على المكابح لتخفف من سرعتها فالسرعة خطرة على الطرقات الغارقة بالثلوج. بدأت هدايا الميلاد على المقعد الخلفي تنزلق. مدت يدها لتوقفها.. لم تشعر بروح الأعياد، ولكنها أملت أن تكون في منزل عائلتها مع أبويها وإخوتها وأخواتها.. فهناك ستشعر بروح العيد.

بعد الشهر الذي قضته في المزرعة أمضت ما تبقى من الصيف

www.elromancia.com

متسكعة، عاطلة عن العمل ولكن أهلها لم يفهموا سبب خمولها. فهم لا يصدقون أبداً أن رجلاً ما مهما علا شأنه قادر على ألاّ يحب ابنتهم. والواقع أنها لم تخبرهم القصة كاملة. وحدها غلوريا من يعرفها.

كانت السيارة التي تقودها هدية عزاء لها من أهلها وقد أوحى والداها أنهما تعبا من السفر الدائم إلى هيلينا لاصطحابها في العطلات..

كانت خطوبة غلوريا وريف قائمة مع أن ريف انتقل إلى «هارفرد» فيما ظلت غلوريا في «هيلينا» فقد قررا عدم الزواج قبل أن ينهي ريف دراسته. لم تجرؤ مارغ على الاستفسار عما إذا كانت فترة الانتظار فكرة كونورواي أم لا، مع أنها عرفت أنها فكرته ولكن اسمه لا يذكر أبداً إلا إذا ذكرته هي.

عاد ريف من هارفرد ليقضي عطلة الميلاد مع غلوريا.. فدعتهما مارغ لمرافقتها إلى منزل عائلتها ولكن ريف رفض.. فهو يريد أن يعود إلى هارفرد في الوقت المحدد. وبالتأكيد قررت غلوريا البقاء معه في هيلينا، خاصة بعدما ألبسها خاتم خطوبة أمه.

لامست مارغ الحجر الكريم الأسمر المعلق في سلسلة ذهبية رقيقة حول عنقها، إنه هدية ريف بمناسبة الميلاد وكان هو أيضاً ملكاً لأمه.. تذكرت دهشتها عندما أخبرها.

لقد أمسكت بها عدة لحظات تنظر إليها بإعجاب قبل أن تضعها حول عنقها.

سألت أخيراً: «أيعلم كونورواي أنك ستهديني إياها؟»

أطبقت يد باردة على قلبها ومنعته من الخفقان.

بعد وقت قصير من وصول ريف إلى هيلينا، سافر إلى المزرعة

ليرى أخاه، وليختار خاتم خطوبة غلوريا من بين مجوهرات أمه.

أجاب ريف بهدوء:

ـ أجل.. يعرف. بعدما أخذت خاتم غلوريا من الصندوق، ذكرت له أنني أنوي شراء هدية لك.. فطلب مني أن أختار شيئاً من مجوهرات أمي.

أجبرت مارغ ابتسامة خفيفة على شفتيها، وقالت:

ـ إنها هدية جميلة حقاً! هل ستسافر وغلوريا إلى المزرعة يوم الميلاد؟

قال بتركيز: لا مارغ.. أنا وغلوريا نرغب في ميلاد هادىء.

ـ أنا واثقة أن بيترا ستسليه.

ولكن الغيرة كانت بادية في لهجتها.

قال ريف: لقد سافرت إلى «بالم سبرنغز» لقضاء العطلة.. جاءت لرؤية كونورواي أثناء وجودي هناك.

فيما بعد جمعت مارغ شجاعتها لتسأل عما إذا أعطى كونورواي موافقته على الخطوبة.

سحب ريف نفساً عميقاً، ونظرة تجهم تتسلل إلى وجهه.

ـ فلنقل فقط إنه استسلم إلى واقع عدم قدرته على تغيير رأيي.

لم تستطع مارغ إلا التفكير في ما إذا كان قد خفف من معارضته على خطوبتهما ولو قليلاً.. لم يوافق موافقة كاملة ولكنه على الأقل لم يتخذ موقفاً متشدداً. أليس لهذه القلادة التي تتزين بها معنى مميزاً؟ أهي طريقة غير مباشرة للاعتذار؟.. من قال يوماً إن الأمل لا يموت أصاب فها هي تأمل أن تحدث معجزة ولكن أليس الميلاد وقت المعجزات.

الميلاد، وقت لاجتماع العائلة ولإقامة العشاء الضخم.

www.elromancia.com

استطاعت مارغ أن تتصور منزل أهلها عامراً بالزينة وبالأطعمة الشهية وبشجرة الميلاد الضخمة المزينة بأجمل زينة. وهناك الحطب الذي سيكون جاهزاً في المدفأة ولكن النار لن تشتعل فيها قبل صبيحة الميلاد، أي بعد أن يستخدمها سانتا كلوز.

هذا هو الميلاد بالنسبة لمارغ.

تساءلت فجأة: ما هو الميلاد بالنسبة لكونورواي؟ قال لها ريف إن كونورواي امتنع عن مرافقة والده إلى هيلينا في الأعياد وهو في مرحلة المراهقة.. كم من الأوقات أمضاها في الميلاد بمفرده في المنزل الكبير، مع لوسيا آروز فقط، بدون عائلة، وبدون زينة. فالرجال لا يضيعون وقتهم بالتزيين.. ثم ماذا لديه هناك ليحتفل به؟

وماذا عن ابن الثانية عشرة الذي اضطر إلى قتل جواده الحبيب عندما كسر قائمتيه؟ ذلك الولد الذي أصبح رجلاً.. رجلاً يرفض إطلاق الأسماء على الجياد لئلا يحزن إذا ما اضطر إلى قتل أحدها. وها هو ذلك الرجل نفسه، يقضي الميلاد وحيداً مرة أخرى هذه السنة. فأخوه اختار صحبة امرأة يحبها على صحبته، وهذا ما دأب عليه والده.

فجأة، أصبح من غير المهم معرفة ما إذا كان ريف على حق أم خطأ عندما فضل خطيبته على أخيه.

ارتدت مارغ عند أول منعطف جانبي لتعود من حيث أتت.. مرت بعدما اجتازت ميلين تقريباً بالطريق الفرعية التي تفضي إلى مزرعة كونورواي.. احتوت إحدى الرزم في المقعد الخلفي على كنزة لوالدها.. وهي قد تناسب كونورواي.. وفي رزمة أخرى وشاح بدوي الصنع ستهديه للوسيا.

ستكون هديتها إيماءة استرضاء من جانبها، وقد يلتقيها في

منتصف الطريق.. هناك ذلك الأمل الخالد مرة أخرى! ابتسمت بحزن.. فمن المحتمل أن يظن كونورواي أنها خدعة أخرى تلعبها.. ولكنها ببساطة تريد أن تراه.

لم يكن الثلج قد جُرف عن الطريق الريفية الرئيسية إلى المزرعة. فتضرعت مارغ إلى الله ألا تعلق سيارتها على الثلج الذي حفرته إطارات الشاحنات.

تغرب شمس الشتاء عادة باكراً في الريف الشمالي.. فالوقت لم يتجاوز منتصف بعد الظهر، وها هو نور وردي يغطي قمم الجبال. رفضت مارغ التفكير في رحلة العودة التي ستقوم بها إلى منزل ذويها.

وقفت أمام المنزل المكسو بالثلج فبدا لها أكبر مما تذكر وأكثر فراغاً.. سيطر عليها انفعال وتوتر فترددت في النزول ولكنها ما لبثت أن لملمت شتات شجاعتها وترجلت.. لعل ما جعلها تدخل بدون أن تقرع رغبتها في مفاجأة كونورواي حين لا يكون مستعداً.. أو لأنها اعتادت على الدخول بهذه الطريقة بعدما أمضت تلك الأسابيع الصيفية الغنية بالأحداث.

كان المنزل فارغاً وصامتاً. لم يكن في المدخل نار مشتعلة قد تبعث الدفء.. خلعت حذاء الثلج وأصغت باهتمام حتى تعرف من في الداخل.

اعتقدت فجأة أن كونورواي غير موجود فلربما هو في أحد مخازن الغلال، أو في قسم آخر من المزرعة.. وهذا يعني أن لوسيا بمفردها. ولوسيا آروز بدون شك في المطبخ.. زفرت نفساً كانت تمسكه عن غير وعي.. ربما من الأفضل لها ألا تراه.. ولكنها ستكلم لوسيا.

جعلها صمت المنزل الرهيب تمشي على رؤوس أصابعها. ما إن اقتربت من المطبخ حتى شمَّت رائحة الطبخ، فابتسمت.. لوسيا هناك.

كانت يدها على مسكة باب المطبخ عندما سمعت صوت كونورواي في الداخل.

ـ لا أهتم بما تحضرينه. قلت لك إنني غير جائع.

ردت لوسيا بصوت حاد مماثل:

ـ إذن تناول بعض القهوة وتوقف عن التجول الدؤوب وكأنك حيوان مفترس متذمر.

ـ أنا لا أتذمر.

ـ أوليس الصراخ فوق رأسي كل خمس دقائق هو التذمر عينه؟ فإمّا أنك مصاب بحمى لا شفاء منها، وإما أنك تفكر في تلك الفتاة.

حبست مارغ أنفاسها وعجزت عن الحراك بانتظار رده. ساد صمت ثقيل طويل قبل أن يقول بصوت بارد غير مكترث:

ـ أية فتاة؟

ـ مارغ بالتأكيد. وكأنك لا تعرف.

رد بحدة: «لم أكن أفكر فيها».

قاطعته ساخرة: «حقاً! متى ستستسلم وتطلب منها الزواج بك؟»

انفجر قلب مارغ بين ضلوعها بقوة.

سمعت صوت إرجاع كرسي ثم تبعه قول كونورواي بهزء:

ـ هذه قمة السخف..!

توقف خفقان قلبها فجأة.

سألت لوسيا: «لماذا؟»

ـ تعرفين السبب لوسيا.

تنهد كونورواي بغضب.. وتبع قوله الغامض صمت طويل، وكأنه ينتظر تعليقاً من مدبرة المنزل. كانت المرارة والازدراء واضحين في صوته عندما أضاف:

ـ عندما غادرت أمي المنزل فجأة كالعادة في أحد أشهر آب، كنت في الثالثة عشرة أو الرابعة عشرة، أذكر أن والدي عاد إلى المنزل بعد توديعها، فارغاً منهكاً.. طلبت منه أن يخرج ويحضرها ويجبرها على البقاء معنا. ولكنه قال إنه لا يستطيع استخدام القوة، أو التوسل إليها لتبقى.. الشيء الوحيد الذي كان يقدر عليه هو أن يحبها فقط.

ردت لوسيا بهدوء: «كان على حق كونورواي».

ضحك مستهزئاً:

ـ على حق! لم أره يبكيها قبل موتها.. بعدها أصبح نصف رجل.. عندما كانت على قيد الحياة تعرفين كم أمسية جلس فيها أمام صورتها، ثم بعد موتها انعكف أمام صورتها لا يبارح مكانه أبداً. لا يحق لأية امرأة أن تذل الرجل هكذا. كان قوياً وذكياً وعملاقاً ولم يكن من حقها أن تستهزىء به.

ـ لكنها كانت تحبه.

صحح لها قولها متجهماً:

ـ بل كانت تستغله.. ولو أحبته لظلت معه هنا حيث تنتمي.

ـ لكنها لم تشعر أنها تنتمي إلى هذا المكان وهذا ما لن تفهمه.. لقد أحبَّت أمك أباك ولكنها لم تكن سعيدة في هذه المزرعة.. إذ لم تكن المزرعة محيطها.. ألم تسأل نفسك مرة لماذا لم ينتقل هو إلى المدينة ليكون معها؟ لو انتقل إلى هناك لعاش

www.elromancia.com

تعساً، لأنه لا ينتمي إلى المدينة أبداً. كان حبهما جسراً بين عالمين، وكان جسراً قوياً.

ـ كانت أمي كالفراشة المهاجرة، تطير فوق ذلك الجسر كل ربيع لتعود أدراجها كل خريف. لن أدخل الظلام مدة تسعة أشهر سنوياً كما كان يفعل أبي. ربما ورثت منه لعنة حب الفراشات.. لكنني لن أتزوج واحدة منها!

تداعى الأمل الهش الذي اعتمل في قلب مارغ، فالأمر بالضبط كما أقنعت نفسها به في الصيف الفائت. فهو رغم انجذابه إليها يحتقرها بقوة.

تمتمت لوسيا وهي لا تصدق:

ـ فراشات؟ أوتظن مارغ فراشة؟

تنهد بمرارة: «تخيليها في ذهنك لوسيا.. شعرها ذهبي كالشمس، عيناها كبيرتان زرقاوان كالسماء.. وهي ضعيفة جداً بحيث أستطيع أن أقسمها بيد واحدة. والرجال ينجذبون لها كما كانوا ينجذبون إلى أمي».

ـ كونورواي.. أنت أعمى!

ـ آه! لا. لقد استنفرت حواسي كلها حتى أرى الفخ الذي نصبته.

ردت مدبرة المنزل بصوت خفيض:

ـ منذ متى تنصب الفراشات الأفخاخ؟ مارغ جميلة وخلاّبة لكنها ليست فراشة.. أنظر إلى الطريقة التي حاربت فيها من أجل صديقتها. لقد وقفت في وجهك بعناد. نعم هي نحيلة طرية العود كعود صفصاف ولكنها غير قابلة للانكسار.

عندما حلّ الصمت، تسارع تفكير مارغ فاستوعبت ما قالته

لوسيا. نعم هي ليست فراشة.. وهي لا تحب كونورواي وحده، بل تحب بيته، وحياته. لم تكن بحاجة يوماً إلى الاعتماد على إعجاب الآخرين لتعيش كما كانت أمه. اجتاحها تيه مجنون.

انكسر الصمت الذي قطعه صوت كونورواي الساخر:

ـ أنت لا تعرفين ما تتكلمين عنه!

حملته خطواته الطويلة نحو باب الردهة حيث تقف مارغ. خافت أن يدرك أنها كانت تنصت فهمّت بالتراجع عن الباب. ولكنها تأخرت جداً إذ انفتح الباب حتى قبل أن تستطيع التراجع خطوة.

تحولت خطوط الغضب على وجهه إلى دهشة وذهول.. رفرفت مارغ عينيها بارتباك.. لا، ليس هذا هو نفسه ذاك الرجل الذي سمعته يقول إنه يحبها، فليس في عينيه أو وجهه أقل بارقة سعادة أو سرور لرؤيتها.

قال ببرود: «ماذا تفعلين هنا؟»

اشتدت يداها على الرزمة وقالت شارحة:

ـ إنه الميلاد.

نظر إلى الرزمة الملفوفة بورق برّاق الألوان فقال ببرود:

ـ أخرجي من هنا مارغ.. لا أريد شيئاً منك.

همّت بتنفيذ أوامره ولكن صوتاً هامساً أنبأها أنها فرصتها الأخيرة، وإن تركته الآن فلن يكون هناك فرصة أخرى.

ـ هل..

تنحنحت حتى ينجلي صوتها:

ـ أتحبني حقاً؟

ارتفع حاجباه الأسودان: «أكنت تتنصتين؟»

هزت رأسها، فأضاف:

www.elromancia.com

ـ أجل، كنت أعني ما أقول. إنما هذا لن يغير شيئاً.

سحبت نفساً محموماً ثم خطت نحوه:

ـ يجب أن يغير.. لا أنكر أنني حاولت خداعك، والتلاعب بك. نعم لقد فعلت كل ما اتهمتني به ولكنني لم أكن أريد أن تتورط مشاعري.. يجب أن تصدقني كونورواي.. ثم هل سمعت يوماً بفراشة تعود إلى برد الشتاء لتموت؟

كانت تحاول المزاح عبثاً ولكنها فشلت، فقد ظل متحفظاً.. فأضافت: «لم أشأ الوقوع في حبك ولكن هذا ما حدث».

مد يده يأخذ الرزمتين منها ثم رماهما أرضاً قبل أن يضمها إليه بدون أن ينطق كلمة. تاركاً بريق عينيه يخبرها كل ما يريد أن يقول.. ثم حملها إلى غرفة الجلوس.

مضى وقت طويل قبل أن أصبح بإمكانهما قول كلمات أخرى غير كلمات الحب. كانت مارغ متكورة على صدره، حيث عصفت دقات قلبه تحت أذنها وهي أجمل موسيقى سمعتها في حياتها.

تمتم كونورواي: «أتظنين أنها كانت تحبه؟»

نظرت إليه فرأته يحدق في الصورة:

ـ نعم كانت تحبه وقد منحته كل الحب الذي تكنه.

اشتدت ذراعاه حولها: «وأنت حبيبتي، أتعدين بأن تمنحيني كل الحب الذي تكنينه لي؟»

همست: أجل.. آه كونورواي هذا أسهل وعد قد أفي به.

ابتسم: «قد أكون غيوراً، متملكاً، وقد تبدئين بكراهيتي».

ـ لن تكون أكثر غيرة مني.. ليتني غير مضطرة للرحيل. حبيبي.. أرجوك تعال معي إلى منزل أهلي سنذهب معاً لتقابل عائلتي.

ـ لن أتركك تغيبين عن ناظري لحظة.

سرت في جسدها رعشة لذيذة.

ـ سنتزوج ونحن عند والديك. سنصبح زوجاً وزوجة قبل مجيء العام الجديد.

صاحت: «أواثق أنك تريد الزواج بي؟»

ـ بالتأكيد.. وهل خلتني أعرض عليك مطلباً رخيصاً؟ أعترف أن ما عرضته عليك ذاك الصباح في غرفتك كان رخيصاً، فقد أردتك بكل قوة ولكن ما لم أعرفه هو أنني كنت أريدك أكثر مما قد أتصور. كنت أريدك لي وحدي حتى الأبد. هذا ما أدركته في الأشهر الستة الأخيرة. وأضيفي إلى هذا أنني يجب أن أتزوجك لأطرد شبحك من البيت. لا تعرفين أبداً بما كنت أشعر به وطيفك يطاردني كل ليلة في غرفة نومي.

شدّت نفسها إليه برضى وعدم تصديق ثم تمتمت:

ـ أظن أن لدي فكرة عن ذلك.. لا أقوى على الانتظار حتى أخبر غلوريا أننا سنتزوج.

ضحك: لم أتوقع يوماً أن أتزوج قبل ريف.

كانت عيناها نصف مغمضتين تستمتع بهذا الحلم بين ذراعيه.. فتحت جفونها فجأة، وسيطر التوتر على عينيها:

ـ كونورواي.. وماذا عن الجامعة؟ أمامي نصف عام على التخرج.

تشنج جسمه لحظة، ثم أبعدها عنه ونهض ليسير إلى المدفأة.. قالت: لا تريد أن أعود إلى الكلية أليس كذلك؟

جلست تنظر بحزن إلى كتفيه العريضتين فقال بوحشية:

ـ لا.. لا أريدك أن تعودي! لقد وجدتك لتوي.. فكيف

www.elromancia.com

أتركك تذهبين مجدداً؟

ابتلعت مارغ ريقها بصعوبة، فهي تعرف العذاب الذي يمر به..

طأطأت رأسها فانسدل شعرها الذهبي إلى الأمام ليخفي خيبة أمل أنانية.

ـ لا بأس، سأترك الدراسة.. فلا مانع عندي.

التفت إليها بحدة:

ـ لا.. لن تفعلي. ستنهين دراستك، لن أسمح لك بترك الكلية.

ارتفع رأسها بحدة لتنظر إليه دهشة:

ـ أنت لا تعرف ما تقول.

ـ لن يتعدى الأمر بضعة شهور.. سأنتقل إلى المدينة.

هزت رأسها: «ستكره ذلك».

عاد إلى الأريكة، ووضع يديه على كتفيها يجذبها لتقف:

ـ سأتحمل.. إنما لن أستطيع العيش بدونك ولو ليوم واحد.

دفنت وجهها في يديه:

ـ ولا أنا.. ولكنني لن أتركك تغادر المزرعة.. أحبك أكثر من أن أطلب هذا منك كونورواي.

سحبت نفساً حاداً ثم قالت:

ـ أعرف ما سأفعل، سأنقل دراستي وعلاماتي إلى جامعة ديلون.. وسأنتقل بالسيارة يومياً من المزرعة وإليها.

تجهم فمه:

ـ وتتركينني أجن قلقاً عليك وأنا أعرف أنك تقودين سيارتك على الطرقات؟

دست ذراعها حول عنقه، ترفع رأسها بدعوة صريحة له:

ـ ولكنني سأعود كل ليلة حبيبي!

* * *

www.elromancia.com